

الجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات
Association Tunisienne des Femmes Démocrates

فرع صفاقس

صورة النساء في الكتاب المدرسي

"كتاب النصوص للسنة السادسة من التعليم الأساسي نموذجا"

بمساندة



OXFAM



EuroMed Rights - Euro-Mediterranean Human Rights Network
EuroMed Droits - Réseau euro-méditerranéen des droits humains
الأورو-متوسطية لحقوق الإنسان - الشبكة الأوروبية المتوسطية لحقوق الإنسان

الإهداء

إلى:

كلّ من علّمنا حرفاً...

زنابق الحرّية زهرات تونس وزهورها...

كلّ من تناضل ويناضل من أجل تحقيق المساواة التامة

والفعليّة بين النّساء والرّجال...

أنجز هذه الدراسة فرحات بنيونس متفقد المدارس الإعدادية والمعاهد

بالتنسيق مع

لجنة التربية والثقافة للفرع الجهوي
للجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات بصفاقس:

نجوى بكار، سجيعة يعيش، صبرية الفريخة
،روضة الطاهري، رشيدة بنسعيد
سعاد بوعتور،رملة بنجماعة، نزيهة دمق،
راقية شوري، فائزة السويسي،
سوار عبد الهادي، سامية قرين،
نادية بنحامد ، فاطمة بن مفتاح،
نجاه بن منصور

"J'accepte
la grande
aventure
d'être moi"

- Simone de Beauvoir -



"نحن لا نولد نساء ولكن نصبح كذلك"

سيمون دي بوفوار

الفهرس

5 توطئة

8 مقدمة

10 إشكالية البحث

11 الفرضيات

12 الأهداف

13 مفاهيم البحث

18 منهجية البحث

19 الإطار النظري

26 الدراسة الميدانية

57 استخلاصات

59 التوصيات

61 قائمة المصادر والمراجع

الجمهورية التونسية
وزارة التربية

عالم القراءة

كتاب التصوّه

للتلاميذ السنة السادسة من التعليم الأساسي

تأليف

سامي الجازي

حكيم بعبادة

محرز بلعيد

نافع العبدلي

خالد التمرظي

تقسيم

مسعود الماجري

منية قارة ببيان

عز الدين الرزقي

المركز الوطني البيداغوجي

اهتمت الجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات منذ تأسيسها بالعمل على مقاومة كل أشكال التمييز ضد النساء وتحقيق المساواة التامة والفعلية بين الجنسين سواء على المستوى التشريعي بالضبط على السلطة السياسية لتعديل القوانين وإلغاء كل الفصول التمييزية، أو على المستوى الثقافي والاجتماعي بالعمل على تغيير الصورة النمطية للنساء كمنطلق لتغيير العقلية الأبوية التي تنتج وتعيد إنتاج التمييز الجنسي في الواقع.

وقد اشتغلت الجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات على ملف التعليم في علاقة بالفتيات والنساء مؤمنة بدور التربية والتعليم في التنشئة الاجتماعية وتشكيل التمثلات والقيم لدى الأطفال، فدافعت عن الحق في التعليم العمومي والمختلط وناهضت ظاهرة الانقطاع المبكر عن التعليم الذي يمس خاصة الفتيات وكل مظاهر تنميط النساء في الكتب المدرسية. ووثقت مواقفها وتوصياتها في كتاب بعنوان: "النساء والجمهورية، مسيرة متواصلة من أجل المساواة والديمقراطية" أصدرته سنة 2008.

وإيماناً من الجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات بدور الثقافة والتربية في تغيير العقليات وتحقيق المساواة أسست "الجامعة النسوية إلهام المرزوقي" في 08 مارس 2009 لتكون فضاء حاملاً للقضية النسوية يجمع بين التكوين النظري والعملي يعمل على نشر ثقافة المساواة وتكافؤ الفرص بين الجنسين.

وترى الجمعية أنه على الرغم من اقتحام النساء كافة الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية يبقى البون شاسعاً بين ما حققته النساء التونسيات وبين ما تعكسه المناهج التربوية من أشكال التمييز على أساس الجنس بين النساء والرجال، إذ تقدم دوماً صورة الرجل في شكل الفاعل والمقرر والعالم، بينما تقترن صورة المرأة بالكثير من أوجه التبعية والدونية ويتواصل تجاهل مهارات النساء وقدراتهن وإبداعاتهن في كافة المجالات.

وتنبه الجمعية إلى خطورة الدور الذي تلعبه تلك الصورة في مرحلة التعليم الأساسي إذ تساهم في إعادة إنتاج السائد المبني على التمييز وتغرسه في ذهن المتلقي والمتلقي لتشكل في المحصلة صورة بائسة عن فتيات تونس ونسائها.

وعوض أن يتم تثمين ما تنجزه النساء في مساهمتهن التعليمي والمهني وأخذه بعين الاعتبار أثناء إعداد البرامج والكتب المدرسية، يقوم المقررون بإعادة إنتاج صور تكرر التمييز

وتغيّب المساواة بين النساء والرجال وهو نموذج أصبح اليوم محلّ تساؤل باعتباره متخلّفاً عن الواقع والتطورّ الفعليّ الذي حقّقته النساء التّونسيّات وتطلّعاتهنّ، ويتعارض مع الحقوق التي أقرّها الدّستور التّونسيّ الجديد خاصّة فيما يتعلّق بالمساواة بين المواطنين والمواطنات، هذا الفصل الذي ينبغي ألاّ يبقى شعاراً فقط بل لا بدّ أن يُجسّد على أرض الواقع.

ولا يسعنا اليوم وتونس قادمة على عمليّة إصلاح شاملة للمنظومة التّربوية إلاّ أن نشارك من موقعنا في هذا المسار التاريخي عبر لفت نظر لجان الإصلاح وهيكل التّأليف والنّشر إلى ضرورة تغيير صورة النّساء في البرامج وفي الكتب المدرسيّة بما يتلاءم مع ما تنصّ عليه التّشريعات الوطنية والدولية وما تناضل من أجله نساء تونس من تحقيق المساواة التّامة والفعليّة بين الجنسين وخاصّة في ظرف تواجه فيه بلادنا وكامل المنطقة تراجعاً وعودة قوية للعقليّة المحافظة التي تهدّد بنسف مكاسبنا. في هذا الإطار يأتي تفكير لجنة التّربية والثّقافة - بالتنسيق مع الجامعة النّسوية إلهام المرزوقي - في البحث في صورة النّساء في الكتاب المدرسي ويبرّر اختيارنا دراسة صورة النّساء في كتاب النّصوص للسّنة السّادسة من التّعليم الأساسيّ نموذجاً بعدّة اعتبارات أهمّها :

• دور الكتاب المدرسي في العمليّة التّربوية، فهو يشكّل محور اهتمام لكلّ المتعاملين مع الشّأن التّربوي داخل المدرسة وخارجها، من معلّّات ومعلّّمين وتلميذات وتلاميذ وأمّهات وآباء وكلّ من يهتمّ بالشّأن التّربويّ في مجالي الفكر والسياسة، وهذا الكتاب يختلف عن غيره من الكتب، فهو وثيقة تربويّة معدّة لتحقيق جملة من الأهداف تعكس ما يطمح المجتمع إلى تحقيقه في إعداد أجياله.

• أهميّة السّنة السّادسة من التّعليم الأساسي، إذ تمثّل نهاية مرحلة كاملة من التّعليم الأساسيّ هي المرحلة الابتدائيّة، ويكون الطّفل في هذه المرحلة العمريّة (11 - 12) في سنّ تجاوز فيها المحسوس للمجرّد وانطلقت فيها عمليّة النّمّو الواضح والمستمرّ في مختلف جوانب الشّخصيّة، والتّقدم نحو النّضج والتّطبيع الاجتماعيّ، وتكوين التّصوّرات المستقبلية وتقبّل الذات وفهم الأدوار والمهامّ الاجتماعيّة.

• أهميّة اللّغة العربيّة كقوّة مؤثّرة في تشكيل شخصيّة المتعلّّقات والمتعلّّمين فهي الأساس الذي يعتمد عليه الفرد في كسب المعلومات والمهارات والاتّجاهات التي تعينه على الاتّصال

بيئته، ليتم له عن طريقها التفاهم والتفاعل مع المجتمع الذي ينتمي إليه، ويرتبط بترائه الثقافي والفكري والحضاري.

وتقدم اليوم الجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات هذه الدراسة العلمية التي سعت إلى رصد صورة النساء في الكتاب المدرسي "السنة السادسة من التعليم الأساسي نموذجاً" للرأي العام وللمختصين في الشأن التربوي، والفاعلين السياسيين داعية خاصة إلى ضرورة:

- انتفاع المدرسات والمدرسين بتدريبات حول المناهج الحديثة التي تحترم حقوق الإنسان للنساء لأنها شريحة تحمل ذاكرة جمعية تحتفظ بذهنية مجتمعية مثقلة بقيم ومفاهيم خاصة بدور كل من الجنسين ولم تستوعب بعد التطور الحاصل في المجتمع.
- تأسيس ذاكرة تراكمية مغايرة، ذاكرة تركز حقوق الإنسان عامة وحقوق الإنسان للنساء خاصة وذلك من أجل تحقيق المساواة التامة والفعلية بين الرجال والنساء ومن أجل تحقيق الديمقراطية الحقيقية والمواطنة الكاملة لكافة أفراد المجتمع دون تمييز.

وتعتبر الجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات أن المناهج الحديثة المتطورة والجهاز التربوي المتشعب بالفكر الديمقراطي عاملان متلازمان لا يمكن فصلهما عن بعضهما حتى تتربى الأجيال الصاعدة تربية مبنية على المساواة التامة والفعلية، آملة أن تتعاطى سبط الإشراف في وزارة التربية مع مطالب المجتمع المدني بكل جدية وأن تقوم بالإصلاحات اللازمة حتى يعمل التعليم حقيقة على تكوين المواطنات والمواطنين على قيم المساواة والمواطنة.

لم تحظ صورة النساء في الكتب المدرسية في تونس بالدراسة والتّمحيص من قبل الجمعيات النسائية وبقية المهتمّين بالشّأن النسوي في المجتمع المدني، وحتّى إن وجدت فهي قليلة وتقتصر فقط على بعض الدّراسات الأكاديمية التي نعتقد أنّ فعلها في واقع التّأليف المدرسيّ في تونس بقي محدودا وهو ما يفسّر عدم طرح الموضوع على نطاق واسع خلال الإصلاحين التّربويين لسنتي 1991 و 2002 سواء على المستوى المجتمعي أو حتّى بين الفاعلين التّربويين أنفسهم.

قد يعود هذا الأمر إمّا إلى حداثة التّطرّق إلى الموضوع بفعل تراكم تاريخي حضاري وثقافي مرتبط بالذهنية السائدة والمهيمنة والتي تستمدّ جذورها من الثقافة الذكورية المهيمنة من جهة أولى (نوع من القبول الاجتماعي الضمني لعدد من المخرجات الاجتماعية للصّور المرسومة) و/ أو لحداثة فعل الحركة النسوية وضعف تأثيرها في مجريات الفعل الاجتماعيّ المؤسّساتي (هياكل التصرّ والتّنفيد والتّأليف بوزارة التّربية) من جهة ثانية.

هذه المسلّمة الأولى - التي نرجو أن تفنّد عبر هذه الدّراسة - خلقت نوعا من القطيعة الظاهرة بين النصوص القانونية المجرّدة وبين فعلها في الواقع، فلئن كانت البلاد التونسية ممضية، وأحيانا بصفة سبّاقة، على النصوص القانونية الضامنة لحقوق النساء وهي تبدو حريصة على ترسيخ مبدأ المساواة التامة بينهنّ وبين الرّجال فإننا لا نكاد نجد أثرا للنصوص التّربوية التي تمكّن من تجذير هذه القيم في الممارسات اليومية ذات التّأثير الفاعل في التّمثّلات والسلوكات لدى الأفراد نساء كانوا أم رجالا، فتيانا أم فتيات.

فالكتاب المدرسيّ بوصفه ناقلا للمعرفة ومشكّلا للتّصورات وبانيا للاتّجاهات وبالتالي موجّها لعقل التلميذ ووجدانه يُبنى في تونس بطريقة لا تخلو من هنات. ذلك أنّ هذه الطّريقة لا تضع في الحسبان سوى الاعتبارات البيداغوجية وتخلو عملية تأليفه وتقييمه من كلّ توجيه نحو آفاق قيمية من الضّروري أن تضمّن في كراس شروط تأليفه، بحيث لا نجد أثرا لما يشير إلى منظومة القيم الخصوصية التي يجب العمل على غرسها بواسطته في كراس الشروط ما عدا تلك المتعلّقة ظاهرا بلامح المتخرّج وبالأهداف العامّة والمميّزة والإجرائية لمجمل محتوياته وتهمل أهدافا خصوصية يجب التّركيز عليها كموضوع صورة النساء.

ولا مناص هنا من التّطرّق إلى الإطار العامّ الذي أنتج لنا هذه الوضعية وهو هيمنة الذهنية

الدُّكورية على مجمل مفاصل الحياة في المجتمعات العربيّة الإسلاميّة بحيث لا يمكن أن يسلم مجال التّربية والتّعليم من تأثيرات خصائص المجتمع الأبويّ.

" تساهم نظم التّنشئة الاجتماعيّة والتّربية والتّعليم في تكريس التّمييز بين البنت والولد منذ الطّفولة، كما تسهم وسائل الاتّصال القديمة والحديثة في إشاعة تمثيل المرأة في وعي الرجل وتمثيل الرجل في وعي المرأة وتزيد من التّشوّهات التي تصيب المرأة وترفع في الوقت ذاته درجة الأميّة الحضاريّة بين النّساء المتعلّقات"¹

إنّ الخوف كلّ الخوف من الصّور التي قد يسعى الكتاب المدرسي بسلطته المعنويّة بصفة واعية أو غير واعية إلى تكريسها في أذهان الناشئة حيث تتحوّل بفعل التّكرار ومرونة عقل المتقبّلة/ المتقبّل إلى نماذج ومنها إلى عمليّة تعبئة وغسل للدّماغ في أكثر الأحيان تلغي العقل النّقدي وتتجاوز مفاهيم الحدّات بكلّ مكوناتها بما فيها حقوق النّساء وخاصّة مبدأ المساواة التّامة والفعليّة بين النّساء والرّجال.

إنّ راهنيّة الموضوع وشرعيّة التّطرّق له تُستمدّ من الانطلاق في عمليّة إصلاح شامل للمنظومة التّربوية وهي الفرصة التي يجب أن تقتنصها لا المنظّمات النّسوية بمفردها بل أيضا كلّ مكوّنات المجتمع المدني المقتنع بمسألة المساواة التّامة بين الجنسين لتفرض على هياكل التّأليف والنّشر وضع صورة النّساء في مقياس تقييم مدى سلامة الكتب المدرسيّة ومدى انسجامها مع ما تنصّ عليه التّشريعات الوطنيّة والدّولية وما تطمح إليه النّساء التّونسيّات من فعل في اتّجاه الدّفاع عن مكتسباتهنّ وتجذيرها خاصّة في الظّرف السّياسي المتقلّب الذي تعيشه تونس اليوم وكمّ المخاطر الذي يهدّد صورة المجتمع ككلّ وليس صورة النّساء فقط وهي الحمّالة الأساسيّة لهذه المخاطر أكثر من غيرها.

1 - ابراهيم الحيدري، النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، دار الساقى، الطبعة الإلكترونيّة، 2011، ص 3

إشكالية البحث

"في إطار البحث عن سياسة تربوية جيّدة أو ذات جودة يجب أن نأخذ بعين الاعتبار كلّ الأبعاد الواردة في الكتاب المدرسيّ، ذلك أنّه وإن يكن وسيلة بيداغوجية من الدرجة الأولى فهو أيضا وأساسا أداة ثقافية وأداة نجاح مدرسيّ بالنسبة إلى التلميذ وأداة تكوين مستمرّ بالنسبة إلى الإطار المدرّس، وهو أيضا أداة تعبير اجتماعيّ وناقل للقيم الكونيّة".²

إنّ اعتماد الكتاب المدرسي كرافعة للتّغيير الاجتماعيّ الذي نطمح إليه - وهو الدور الموكول له أساسا - يفترض منّا معرفة محتوياته معرفة دقيقة ونظرة ثابتة حول رسائله، ذلك أنّ الكتب المدرسية "تمتلك سلطة فعلية، فالتلميذ يظنّ أنّها لا يمكن أن تحتل الخطأ وأنّها غير قابلة للدّحض، فالكتاب المدرسي بالنسبة إليه هو "كتاب الكتب" حمّال لحالة المعرفة في مجتمع ما، يثق فيه الأولياء والمدرّسون والتلاميذ بطريقة تلقائية".³

يمكن أن نفترض أن الكتب المدرسيّة المؤلّفة حديثا تخلو من التّمييز على أساس الجنس باعتبار أنّه من المفترض أنّ المؤلّفين والنّاشرين على علم بالتّشريعات التي تمنع هذا التّمييز وبخطورة الصّور النمطية الجنسيّة في هذه الكتب.

* لكن كيف هو الواقع فعلا؟

* سؤال بديهيّ منطقيّ وأوّلّي: ما هي صورة النّساء التي يعكسها كتاب السنّة السّادسة من التّعليم الأساسيّ؟

* هل تضمّن صورا نمطيّة تعكس تمييزا واضحا بين الجنسين؟

* هل عكس فعلا تصوّرا عامّا حول النّساء يعكس المكانة السّائدة اجتماعيّا ويؤبّدها؟

* هل قدّم صورا يمكن أن تساهم في بناء نموذج بديل للنّساء وتعكس بالفعل مكانتهنّ في المجتمع التّونسيّ؟

2-Comment promouvoir l'égalité entre les sexes par les manuels scolaires? Guide méthodologique à l'attention des acteurs et actrices de la chaîne du manuel scolaire. UNESCO 2007 ;p22

3- Les manuels de lecture de CP sont-ils encore sexistes ?, Christine FONTANINI, Centre de Recherches sur l'Éducation, les Apprentissages et la Didactique, 2007, p22-

إنّ دراسة صورة النّساء في كتاب النّصوص للسّنة السّادسة من التّعليم الأساسيّ يمكن أن تقدّم لنا الجواب عن الأسئلة التّالية:

هل التّزمت هياكل التّأليف والتّقييم والنّشر بتقديم صورة إيجابية للنّساء في الكتاب المدرسيّ أو أنّها اكتفت بإعادة السّائد اجتماعيًّا وهل كان هذا نتاج فعل عقلائيّ أم مجرد سهو اقتضته ضرورات التّأليف؟

أ وّضع المؤلّفون في اعتبارهم مبادئ حقوق النّساء كما نصّت عليها التّشريعات الدّولية وأكّدها التّوصيات المنبثقة عن المؤتمرات الدّولية المتتالية حول النّساء أم أنّ هذه المقتضيات لم تطرح على أذهانهم؟

هذه الدّراسة الكميّة والكيفيّة يمكن أن تظهر أنّ الصّور النّمطية بين الجنسين ما زالت موجودة في هذه الكتب وسنحاول إبراز بعض المظاهر حتى يتمّ تطبيق التّشريعات وإلزام المؤلّفين بأخذ ذلك بعين الاعتبار.

فرضيات البحث

- كتاب النّصوص للسّنة السّادسة أساسي للقراءة يخلو من أيّ نزعة سلبية تجاه النّساء.
- صورة النّساء في كتاب النّصوص للسّنة السّادسة من التّعليم الأساسيّ تعكس تصوّرا سائدا حول مكانتهنّ الاجتماعيّة وتؤبّده.
- صورة النّساء في الكتاب المدرسيّ تعكس الصّور النّمطية التي يحملها المجتمع حول النّساء بصورة عامّة ويسعى إلى تأبيدها.
- خلوّ الكتاب المدرسيّ من الصّور النّمطية المفصّوحة لا يعني بالضرورة أنّه يبني تصوّرات إيجابيّة تجاه النّساء.

أهداف البحث

يرمي هذا البحث إلى:

- دراسة صورة النساء الواردة بكتاب النصوص للسنة السادسة من التعليم الأساسي.
- استخراج الصور النمطية المتعلقة بالنساء والتي تساهم في ترسيخ التمييز ضدهن.
- دفع القائمين على هندسة الكتب المدرسية إلى الأخذ بعين الاعتبار الإجماع الحاصل الضمني والظاهر على الأقل حول نبذ كل أشكال التمييز ضد النساء أو تبخيس دورهن كذوات ومواطنات وكفاعلات اجتماعيًا.
- السعي نحو احترام الدستور والقوانين الدولية والوطنية الضامنة لحقوق النساء والتوصيات المنبثقة عن المؤتمرات الدولية والوطنية حولهن والتي تنص على العمل بكل الصور الممكنة واتخاذ التدابير اللازمة وعلى وجه السرعة لإلغاء الصور النمطية حول التمييز بين الجنسين من المواد التعليمية وبكل المستويات.
- الدفع نحو تضمين مبدأ المساواة التامة بين الجنسين في كراس شروط تأليف الكتب المدرسية.
- الدفع مع مكونات المجتمع المدني (وأساسا المنظمات النسوية) ليتضمن تقييم الكتب المدرسية قبل صدورها واعتمادها رسميًا ما يفيد خلوها من الصور النمطية حول النساء سواء كانت ظاهرة أم خفية وما يؤسس لثقافة المساواة.
- الحرص على أن يكون الإصلاح التربوي الحاليّ الفرصة الممكنة للمساهمة في تحقيق المساواة التامة بين الجنسين وأن تكون الكتب المدرسية تقدّمية تخلو من كل نزعة سلبية تجاه النساء ومن كل ما من شأنه أن يتناقض مع مبدأ المساواة التامة بين الجنسين في الكتب المدرسية.

مفاهيم البحث

الكتاب المدرسي / *Manuel scolaire*

يعرّف دليل اليونسكو الكتاب المدرسيّ بأنه "ناقل أساسيّ للتعلّم، يتكوّن من نصوص و/ أو صور مجمّعة بغرض الوصول إلى تحقيق مجموعة خاصّة من الأهداف البيداغوجية: تقليدياً يكون في شكل مجمّع مطبوع يحتوي على صور وموضّحات وتعليمات لتسهيل مقاطع الأنشطة البيداغوجيّة".⁴

إنّ وضع كتاب مدرسيّ واختيار مضامينه لا يقتصر على المحدّدات المعرفيّة والبيداغوجيّة فقط بل يعني اختيار منظومة من القيم والقواعد والتّمثّلات التي يرتكز عليها طموحنا لضمان التماسك الاجتماعيّ والانسجام في العلاقات بين البشر والمؤسّسات. ومن هنا تتأثّر أهميّة الكتاب المدرسيّ في بناء شخصيّة الطّفل فهو يقدّم له نماذج يمكن أن تؤثر في سلوكه ومواقفه ورؤيته للكون "محتويات الكتاب المدرسيّ تكوّن مخيال أجيال من الأطفال وتطبع وجدانهم في فترة تكون فيها روحهم طيّعة وتفكيرهم النقدي في طور التكوّن أو التشكّل".⁵

إنّه يلعب دور التنشئة الاجتماعية بالإضافة إلى التّربية والتّعليم وله دور في تشكيل القواعد والأفكار لدى الأطفال. "إنه مصدر المعلومات وناقل ومنظّم محبذ للمعرفة والعلوم، إنه ينقل بشكل واضح فهما للتاريخ ورؤية للعالم وأنماط سلوكيّة واجتماعيّة وقيما وقواعد...".⁶ هذه المعلومات التي يقدّمها الكتاب المدرسيّ تشكّل "منهجاً خفياً" غير مرئيّ من الوهلة الأولى مدمجاً داخل النّصوص والصّور والتّمارين التي تقدّم للتلاميذ وهو ما يجعلها تمتلك سلطة فعليّة وجب الحذر منها وحسن توجيهها.

في هذه الدّراسة نعي بالكتاب المدرسيّ نموذجاً تقع دراسته وهو كتاب القراءة للسّنة السادسة من التّعليم الأساسيّ.

4- Guide de l'UNESCO ; p14

5- Les manuels de lecture de CP sont-ils encore sexistes ? Christine FONTANINI, centre de recherche sur l'éducation les apprentissages et la didactique, 2007, p 2

6- IBID p 2

"هو أداة تحليل تمكّن من مساءلة العلاقات الاجتماعية التي تعيّن للذكر والأنثى خصائص وقواعد مختلفة وتراتبية [...] وهو أيضا أداة نقدية تمكّن من دراسة اللامساواة وتفرض المحدّدات والأدوار الاجتماعيّة التي تحدّد من فعل الأفراد. إنّه يمكّن من إعادة النظر في التراتبية الجنسيّة".⁷

"هذا المصطلح يشير إلى الثقافة وإلى التصنيف الاجتماعيّ للذكورة والأنوثة فالنوع يحيل إلى المؤهّلات والأذواق والقدرات والأدوار والمسؤوليّات المرتبطة بالرجال والنساء في المجتمع، ومفهوم الذكورة والأنوثة يعرف تنوعا كبيرا وهو دليل على مرجعيّته الاجتماعيّة باعتبار أن كل مجتمع يصوغ تصنيفه حسب معايير ومنطق خاصّ به".⁸

من هنا لا بدّ من التأكيد أنّ النوع الاجتماعيّ ليس نظريّة كما يوهّم بذلك أعداؤها مستمدّين نظرتهم من إيديولوجيّات طبيعيّة أو دينيّة كما تؤكّد على ذلك نيكول موسكوني⁹ بالاعتماد على الدّراسات السيكولوجيّة والسوسولوجيّة وخاصة الأنثروبولوجيّة (انظر دراسة مارغريت ميد حول القبائل الأوقيانيّة).¹⁰

النوع هو مفهوم يشكّل شبكة تحصيل للعلاقات الاجتماعيّة بين الرجال والنساء، الفتيان والفتيات، والفرضيّة الأساسيّة أو المركزيّة فيه هو أننا نعيش في "نظام اجتماعيّ يؤسّس نظاما "جنسويّا" Sexué (يقوم على التمييز الجنسيّ) حيث يكون كلّ جنس في علاقة نفوذ، الأوّل (الرجل/الفتى) يهيمن على الثّاني (المرأة/الفتاة).

"هذا النّظام الجنسويّ كما يسمّيه Rayane Sénac يظهر أو يترجم المستوى الرّمزي في نظام من القيم للجنس (ذكور/إناث) في علاقة مترابطة تؤسّس وتعيد دون توقّف التقسيم بين الجنسين والاختلافات التراتبية بينهما في كل مجالات النّشاط والمهمّات والوظائف والأدوار والفضاءات والكفايات والسّمات النفسيّة بما في ذلك العلاقة بين الجنسين".¹¹

7- Faire des manuels scolaires des outils de l'égalité entre les hommes et les femmes, Guide pratique, centre Hubertine Auclert, 2014 ;p7

8- Guide de l'UNESCO ; p27

9- Système scolaire et stéréotypes sexistes, Nicole mosconi, 2013-2014 ;p3

10 - بينت مارغريت ميد في دراستها للمجتمعات التقليديّة الأوقيانية في بداية القرن العشرين أنّ " قبيلة في الفيلبين يشتهر الرجال فيها بكونهم لا يمكنهم حفظ السر، وبالنسبة إلى المانين Manus يعتبر الرجال أنفسهم الوحيدين القادرين على حب الأطفال ورعايتهم واللعب معهم، قبائل التودا Toda تعتبر أنّ غالبية الأعمال المنزلية تكتسي صبغة مقدسة بحيث ال يجوز تكليف المرأة بها" انظر دليل اليونسكو ص 22

للإشارة للمذكر أو للمؤنث نتحدّث عن الجنس وليس عن النّوع وبهذا المعنى يصبح الجنس هو ما خصّص لنا عند الولادة في الحالة المدنية وهو بناء قانونيّ وهذا البناء بطبعه ثنائيّ التفرّع بمعنى أنّ الجنس بيولوجي في حين أنّ النّوع اجتماعي وثقافيّ. ولكن أكبر إسهام لمفهوم النّوع هو أنّه يمكّننا من فهم التّمييز على أساس الجنس le Sexisme وهذا المصطلح وضع خلال السّتينات على شاكلة التّمييز العرقي Le Racisme، فالجنس بالنّسبة إلى المرأة هو تماما كالعرق بالنّسبة إلى المجموعات الاجتماعية التي تعاني من التّمييز العرقي. والجنس هنا يمثّل وسيلة تمييز وخضوع وامتهان.

الجنس / *sexe*

يشير إلى الفروقات البيولوجية بين الذكور والإناث وهو يحيل إلى الاختلاف الملاحظ بين الأعضاء الجنسية ووظائفها الفيزيولوجية في عملية الإنجاب.¹²

التّمييز على أساس الجنس / *Sexisme*

C. Lelievre (2001) "نستطيع القول بوجود تمييز على أساس الجنس عندما تصف نصوص أو صور الكتاب المدرسيّ الرّجال والنّساء في وظائف نمطيّة لا تعكس تنوع الأدوار".¹³ إن إنكار الواقع الاجتماعيّ والتاريخيّ في تعقّده وتنوّعه يدفع إلى تمثّلات كاريكاتورية وأحادية للصور وللأدوار الذّكورية والأنثوية. هناك تمييز أيضا عندما يقتصر الكتاب المدرسي على عرض وضعيّة قائمة بدون نقد ودون تقديم بدائل، يمكن اعتبار أنّ ذلك قبول ضمنيّ للأساواة والتّمييز الموجود. لا يمكن الحديث عن التّمييز ضدّ المرأة دون التّطرّق إلى التّعريف القانونيّ الوارد بالاتّفاقية الدولية لمنع كلّ أشكال التّمييز ضدّ النّساء.

11 - Système scolaire et stéréotypes sexistes, Nicole mosconi, 2013-2014 ;p3

12 - Guide de l'UNESCO ; P27

13 - IBID ; p7

المادة 1: "يعني مصطلح التمييز ضد المرأة أي تفرقة أو استبعاد أو تقييد يتم على أساس الجنس ويكون من آثاره أو أعراضه النيل من الاعتراف للمرأة على أساس تساوي الرجل والمرأة بحقوق الإنسان والحريات الأساسية في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية أو في أي ميدان آخر، أو إبطال الاعتراف للمرأة بهذه الحقوق أو تمتعها بها وممارستها لها بغض النظر عن حالتها الزوجية. كما تطلب الاتفاقية من الدول الأطراف اتخاذ جميع التدابير لتغيير الأنماط الاجتماعية والثقافية لسلوك النساء والرجال لتحقيق القضاء على التحيزات والعادات العرفية وكل الممارسات القائمة على دونية النساء أو على أدوار نمطية للنساء والرجال".

الجزء الثالث المادة 10: ج: "تتخذ جميع الدول الأطراف التدابير المناسبة للقضاء على أي مفهوم نمطي عن دور الرجل ودور المرأة في جميع مستويات التعليم وفي جميع أشكاله عن طريق تشجيع التعليم المختلط وغيره من أنواع التعليم التي تساعد على تحقيق الهدف ولا سيما تنقيح كتب الدراسة والبرامج الدراسية وتكييف أساليب التعليم".

الصّور النمطية / *Stereotypes*

- " (1922) W.Lippmann هو أول من استخدم المصطلح كمقبول نفس-اجتماعي "بسيكوسوسيال" يعني فئات وصفية ومبسطة مرتكزة على معتقدات وبواسطتها نحدّد أشخاصا آخرين أو مجموعات اجتماعية".¹⁴

- (1996) J.P.Leyens, V. Yzerbyt, G. Schardon " معتقدات مشتركة حول الخصائص الشخصية، عادة سمات الشخصية ولكن أيضا السلوك الخاص بمجموعة من الأشخاص".¹⁵
فالصور النمطية هي إذن " تمثّلات تخطيطية كلية تنسب خصائص يفترض أنّها طبيعية إلى الفتيات/النساء أو الفتيان/الرجال حول ما عليه الرجال والنساء".¹⁶

لا بدّ من التأكيد أنّ الصور النمطية مهما كانت يمكن أن ينتج عنها التمييز بطريقة مبطنّة.

14- Les manuels de lecture de CP sont-ils encore sexistes ?, Christine FONTANINI, centre de recherche sur l'éducation, les apprentissages et la didactique, 2007,p2

15- IBID ; p 6

16- Faire des manuels scolaires des outils de l'égalité entre les hommes et les femmes, Guide pratique, centre Hubertine Auclert, 2014 ;p8

التمثّل/Représentation

Denise Jodelet حسب دينيز جودلي

" هو شكل من المعرفة مبني اجتماعيًا ومتقاسم، له هدف عمليّ ومساهم في بناء حقيقة
جماعية لمجموعة اجتماعية".¹⁷

من المهمّ التأكيد على أنّ التمثّل ليس انعكاسًا للواقع وكلّ نظام تمثّلات هو في نفس الوقت
نظام قيم كما تؤكّد على ذلك Brogueille Claude في مؤلّفها تحليل تمثّلات الذكورة والأنوثة
في الكتب المدرسية.¹⁸

التنشئة/Socialisation

• (2002) H. Levalle et D. Mellier " يتنمذج الفرد تدريجيا على العادات السلوكية

لمجموعته ويستبطن قيم ثقافته وقواعدها".¹⁹

17- Faire des manuels scolaires des outils de l'égalité entre les hommes et les femmes , p8

18- Faire des manuels scolaires des outils de l'égalité entre les hommes et les femmes , p8

19- IBID, p7

منهجية البحث

يهدف البحث إلى تحليل التمثّلات حول الذكورة والأنوثة المقدّمة للأطفال في الكتاب المدرسيّ، ويتعلّق الأمر هنا بتحليل بناء الجنس اجتماعيًا انطلاقًا من مختلف الخصائص المرتبطة بالشخصيات والعناصر الرئيسيّة للكتاب المدرسيّ وقاعدة التمثّلات والنّظر في البنية والمنطق الداخليّ الذي يقدّمه الكتاب المدرسيّ.

من أجل ذلك اعتمدنا المنهج الوصفيّ التحليليّ وهو منهج يقوم على تحليل كميّ كيفيّ في نفس الوقت باعتماد تقنية إحصائية SPSS وفي نفس الوقت تحليل المحتويات عبر تحليل الموضوعات.

فالموضوعة هي "كلّ دلالة أو معنى يظهر في نصّ كتابيّ أو جزء من النصّ (فقرة، جملة، عنوان)²⁰ ولم تقتصر في كتاب السنة السادسة أساسي على النصوص فقط بل أضفنا إليها الصّور لقوّتها التعبيرية ووجودها المكثّف. ما يهمّنا هنا هو موضوع صورة النّساء وكيف ظهرت في الكتاب المدرسيّ، لهذا حاولنا تحديد كافّة العناصر ذات الصّلة بقضية صورة النّساء لاستخراج الموضوعات المتعلقة بها سواء كميًا أو كيفيًا وتصنيفها في فئات لبناء شبكة التحليل. هذا العمل مكّننا من مقارنة الدّراسة كميًا في شكل أرقام وأعداد قابلة للتّعليق والعرض والتحليل والتّفسير وأيضا كيفياً عبر تصنيفها إلى فئات كبرى لتقديم الصّورة التي ظهرت بها النّساء في الكتاب المدرسيّ. اقتصرنا عناصر التحليل على:

- الظهور المادّي للنّساء والفتيات في هيئة التّأليف والمؤلّفين والعناوين والنّصوص والصّور.
- مكانة النّساء والفتيات في هذا الظهور.
- شكل التّعيين الذي ظهرت به النّساء والفتيات.
- السّمات والملحقات التي صاحبت النّساء والفتيات.
- الأنشطة والأعمال التي ظهرت بها النّساء والفتيات.
- الفضاءات التي ترتادها النّساء والفتيات.
- الصّورة العامّة للشّخصية التي ظهرت بها النّساء والفتيات.

20- فوزي أيوب، الخطاب التربوي والجنوسة في كتب التربية الوطنية والتنشئة المدنية الحلقة الولي الأساسية من التعليم العام في لبنان، ص 2

الإطار النظري

إن دراسة صورة النساء في كتاب مدرسي تقتضي البحث في المنهجية المناسبة وفي مضامين تشكّل مؤشرات بواسطتها يمكننا أن نقيس مدى التزام الكتاب المدرسي بتلافي الصور النمطية والتي تكرّس دونية النساء في محتوياته.

• كيف ندرّس نسق النوع في الكتب المدرسية؟

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهجية المتبعة من طرف منظمة اليونسكو والواردة في دليلها:

Comment promouvoir l'égalité entre les sexes par les manuels scolaires ?
Guide méthodologique à l'attention des acteurs et actrices de la chaîne du manuel scolaire. UNESCO 2007.

• هناك مقاربتان:

مقاربة تقليدية: تركز على استنكار الصور النمطية حول الجنس أو هي تهدف إلى

فضح هذه الصور من خلال إبراز:

- عدد مرّات ظهور النساء والرجال في نصوص الكتب المدرسية .
- كثرة ظهور النساء في النصوص المتعلقة بالتكوين المهني ذات الطبيعة الصحية والاجتماعية.
- الأمزجة (ثرثرة/لا تحفظ السرّ...).
- نوعية الأدوار المسندة إلى النساء.
- الأنشطة المهنية الموكولة للنساء.

المقاربة الجديدة: دراسة تمثّلات النوع الاجتماعي *Etude des représentations sexuées*

• تعتمد هذه المقاربة منهجا كميا، وهي تهدف إلى دراسة الهويّات الجنسانية Sexuées ومجمل الأدوار الاجتماعية ذات البعد الجنسي وليس فقط الاقتصار على تحديد التمييز الجنسي أو التمييز ضدّ جنس بعينه، فاعتمادا على فهم ميكانيزمات تشكّل التمثّلات حول الذكورة والأنوثة يمكن أن نكشف نسق النوع الاجتماعي في الكتاب المدرسي وذلك عبر مبدأين رئيسيين هما:

- تمثّلات النوع الاجتماعي تتجسّد داخل الشخصية: إذا يجب العمل على الشخصية لتعزيز المساواة بين الجنسين.

- تسجيل الشخصية في سند وهو هنا الكتاب المدرسي يساهم في إعداد تمثلات جنسوية. بعض الملاحظات هنا ضرورية:
- الشخصيات تظهر في النصوص كما في الصور.
- خصائص الشخصية تظهر مختلفة في الصور وفي النصوص .
- النصوص والصور لا تحيل إلى نفس التمثلات حول الذكورة والأنوثة .
- الصور لها تأثير أكبر، هي أقل ولكن مساحتها أكبر وإمكانية مراقبتها أسهل.
- يجب الاهتمام في هذه المقاربة الجديدة بالنصوص وأيضا بالصور وبالعلاقة بينهما.
- مثال: الشخصيات الواردة في النصوص لها تأثير أكبر من تلك التي تضمن في التمارين.
- بناء على هذه المنطلقات تمر دراسة التمثلات حول الصورة في الكتاب المدرسي عبر:

(1) احتساب الشخصيات بطريقة شاملة حسب الجنس والسّن.

- رجال/ نساء
- أولاد/ بنات
- المحايدون (التلاميذ، الأطفال، الطفل...)
- غير المحددين (شخصيات لم تحدّد بجنس أو بسنّ)
- الحساب يتم حسب موقعهم في الكتاب (في النصّ، في الصورة، في التمارين...)

(2) استخراج خصائص الشخصية التي تساهم في تشكيل النوع الاجتماعي.

- شكله (شخصية فردية أو جماعية)
- الوظيفة البيداغوجية (الراوي،...)
- دوره (بطل، شخصية ثانوية...)
- وظائفه الاجتماعية، المهنية، العائلية التي تُكشف من خلال طريقة التّعيين Désignation (الاسم، اللقب، رابطة القرابة، المكانة، المهنة...)
- السمات الجنسوية (الحلاقة، الحلي، الماكياج، الثياب...)
- السمات الجسدية
- ملامح الشخصية والصفات النفسية
- الأنشطة والأفعال

• التفاعل مع بقية الشخصيات

• الأمكنة والفضاءات الجغرافية والثقافية التي توجد فيها الشخصية.

تمثيلات النوع الاجتماعي مضمّنة في الشخصيات، لهذا فإنّ احتساب الشخصيات واستخراج خصائصها يمكن من التثبّت من المساواة و التوازن في الأدوار والتّواجد في مختلف فضاءات الحياة (الخاصة، العائلية، العامة والمهنية) ويمكن حينها أن نتثبّت أو نراقب تنوع الوضعيات وعدم إقصاء جنس معيّن.

الدّراسات تثبت أن نسق النوع الذي يقدّم في نصّ أو في صورة يختلف داخل الكتاب المدرسيّ، لذا تكمن أهميّة مراقبة تمثيلات النوع الاجتماعي في كليهما.

نهتمّ بالخصائص الأساسية الحاملة لنسق النوع في هذه الفضاءات:

• **في النصّ:** الجنس / العمر / الشكل / التّعيين / الأفعال / السمات / العلاقات مع الشخصيات الأخرى / مدى الحضور في النصّ.

• **في الصورة:** العمر / الجنس / الأفعال / السمات.

يمكن إضافة أصل الأسماء / الأماكن (ريفي / حضري) / وضعيّة الشخصية.

إنّ التّمثلي المناسب لمراقبة نسق النوع الاجتماعي يتضمّن:

1 - اختيار الخصائص وضبط القائمة.

• شكل الشخصية وجنسها وسنّها.

• الجنس: رجل / امرأة - فتى / فتاة - مراهق / مراهقة - مسنّ / مسنّة...

• التّعيين: الاسم / اللقب / رابط القرابة / رابط آخر (صديق) / المهنة / مكانة أخرى (تاجر، مسافر...)

يمكن تدقيق هذه التّفرعات عبر تصنيف للمهن مثل (فلاحة / تعليم / تجارة / صناعات تقليديّة / مهن طبيّة / فن وثقافة / علوم وإعلام / مهن مكتبيّة...)

• **الأنشطة والأفعال:**

• نشاط مدرسيّ / نشاط مهنيّ / نشاط منزليّ / نشاط تجاريّ / نشاط علاجيّ وعلاقة عاطفيّة / نشاط ترفيهيّ ورياضيّ / نشاط اجتماعيّ / نشاط يوميّ (الأكل، الاغتسال...)/ نشاط متعزّز (يكسر، يرتكب حماقة، يعاني صعوبات...)/ نشاط ناجح...

• السمات *attributs* الملحقات:

• أدوات مدرسيّة/ أدوات مهنيّة/ أدوات منزليّة/ أموال/ أغذية/ أدوات ترفيهيّة ورياضيّة/
الخصائص الجسديّة/ الخصائص النفسيّة...

• التفاعل:

• تفاعل مهنيّ/ تفاعل مدرسيّ/ تفاعل تعاونيّ (تعاون، تضامن/ نقاش/ احتفال/ استدعاء/
تقاسم...)/ تفاعل عاطفيّ (عناق/ عبارات رقيقة)/ تفاعل عنيف (عراك/ سباب)

• التّموّج داخل الدّرس:

- النّصّ / الصّورة/ التّمارين.
- تعداد الشّخصيات اعتماداً على شبكات.
- استخراج الجداول الإحصائيّة والتأليفيّة.
- تحديد مخرجات التّمثّلات الجنسيّة.

II - ما هي الأسس المعتمدة في دراسة صورة النّساء؟

سنة 1982 كتب روجيه غارودي مسيرة النّساء عبر التّاريخ وتساءل " هل آن الأوان لتوجيه النّقد إلى ستّة آلاف سنة من النّظام الأبويّ والهيمنة التي مارسها الرّجال على المجتمع بأسره؟ منها تساؤله بالقول إنّ النّساء قادمات والويل لمن يقف في طريقهنّ.²¹

لم يكن لغارودي أن يطلق هذا التّحذير من فراغ ذلك أنّ الحركة النسوية مثابرتها ونضالاتها المستمرّة منذ بداية القرن العشرين عرفت قفزة نوعية في مستوى مكتسباتها وحوّلت عديد المطالب إلى حقائق سياسيّة وقانونيّة وراكمت من الرّصيد ما يجعلها تتفاءل بتراجع كبير في مستوى النّظرة الدّونية للنّساء وتطمح للقضاء على التّمييز على أساس الجنس نهائيّاً.

لقد عرفت مكتسبات النّساء بشكل عام طفرة منذ منتصف القرن الماضي إذ نتج عن النّضال المستمرّ ترسانة من القوانين الحامية لها والمفضية تدريجيّاً إلى تحقيق المساواة التّامة بين النّساء وبين الرّجال وهي الأسس التي بواسطتها يمكننا اليوم أن نقيس مدى احترام الكتب المدرسيّة للصّورة التي يجب أن تقدّم فيها النّساء.

21 - ابراهيم الحيدري، مرجع سابق ص 5

في العالم:

- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (1948)
 - اتفاقية القضاء على كل أشكال التمييز ضد النساء (1979)
 - اتفاقية حقوق الطفل (1989)
 - المؤتمر الدولي حول حقوق الإنسان في فيينا (1993).
 - إعلان بيجينغ (1995) المؤتمر الرابع العالمي حول النساء.
- يمكن اعتبار اتفاقية الأمم المتحدة لإلغاء جميع أشكال التمييز ضد النساء التي طالبت بمنع كل تصور نمطي حول أدوار الرجال والنساء في كل المستويات وفي كل أشكال التعليم أبرز تطوّر عرفته مسألة النساء على مرّ التاريخ ولكن قبل ذلك هناك محطات لا بدّ من الإشارة إليها.

• في السبعينات: طرحت مسألة الجنسانية (التمييز على أساس الجنس) في الكتب المدرسية من طرف الحركة النسوية: كتب، دراسات، تقارير، ملقّات، ومجلات كتبت ونشرت بين 65 و85 لتحديد التمييز على أساس الجنس من جهة والدعوة إلى التصرف حيالها والحدّ منها قصد إلغائها من جهة أخرى.

• اليونسكو: برنامج عمل دولي يتبع المؤتمر العالمي لعشيرة الأمم المتحدة حول النساء بكونها جن 1980 "على الحكومات أن تأخذ على وجه السرعة كل التدابير الضرورية لإلغاء الصور النمطية حول التمييز بين الجنسين من المواد التعليمية وفي كل المستويات"

في تونس:

الحركة النسوية في تونس قديمة متجذّرة وفاعلة على مرّ التاريخ الحديث، فالمناضلات صلب حركة التحرر الوطني كنّ على قدر من الوعي بارتباط الفعل الوطني بالمسألة الاجتماعية وخاصة بمكانتهنّ صلب مجتمع يعاني من الذهنية الذكورية ومن سيطرة الأب ليس بالمعنى البيولوجي Père بل بالمعنى الثقافي Patriarche. كيف لا والطاهر الحدّاد في كتابه "امرأتنا في الشريعة والمجتمع" مهّد منذ ثلاثينات القرن الماضي لهذا الموضوع ودقّ أوّل إسفين في نعش النظرة الدونية للمرأة المرتكزة على فهم معين لنصوص دينية حاولت بكلّ جهدها تأييد العبودية التي تعاني منها النساء.

لقد كان الحدّاد على وعي تامّ بأنّه " إذا أراد المجتمع العربيّ أن يبقى ويستمرّ فلا بدّ من تغييره تغييراً جذريّاً عن طريق رؤية بعيدة المدى ونوع من الممارسة الجماعيّة التي يجب أن تودّي إلى إزاحة الأب رمزا وسلطة وتنتهي بتحرير المرأة قولاً وفعلاً"²² وهو بهذا المعنى هيّأ الإطار الأمثل للنساء ليكنّ رائدات نضاليّاً في سبيل انتزاع حقوقهنّ وما صدور مجلة الأحوال الشخصيّة في تونس ضمن أولى النصوص القانونية التي أصدرها المجلس القومي التأسيسي (انتخب في 24 مارس 1956 وصدرت المجلة في 13 أوت 1956) سوى دليل على الفعل النسوي في هذا المجال.

لقد شكّلت مجلة الأحوال الشخصيّة في تونس بنقائصها المعروفة للجميع - والتي تسعى الحركة النسوية في تونس إلى تلافيتها تدريجيّاً- إطاراً جديداً مكنّ النساء من تجاوز البعد الدوني الذي حصرن فيه ومهدّ لهنّ طريق الانفتاح على الحياة الاجتماعيّة وإن قانونيّاً فقط. إنّ ترسانة القوانين التي صادقت عليها تونس بفعل الضّغط النسوي ومساندة مكوّنات المجتمع المدني تمكّن من إيجاد بيئة مناسبة لمواصلة النّضال من أجل المساواة التامة بين الجنسين وتفعيل القوانين القائمة والقضاء تدريجياً على كلّ ما يعوق حصول النساء على المكانة التي تليق بهنّ في المجتمع والدولة.

ولعلّ معركة " التّكامل " و"المساواة " خلال نقاشات الدّستور التّونسي لسنة 2014 خير دليل أوّلاً على عوامل الجذب إلى الخلف التي تمارسها بعض الأطراف وثانياً على قدرة الحركة النسوية في تونس على تحقيق إرادتها والارتقاء بأدائها وفرض رؤيتها لوجود النساء ومكانتهنّ في تونس المعاصرة.

ولعلّ أبرز ما يجسّد مكانة النساء في تونس على الأقلّ قانونيّاً :

• **الفصل 21 من دستور 2014:** "المواطنون والمواطنات متساوون في الحقوق والواجبات

وهم سواء أمام القانون من غير تمييز"

• **الفصل 46:** "تلتزم الدّولة بحماية الحقوق المكتسبة للمرأة وتعمل على دعمها وتطويرها.

"تضمن الدّولة تكافؤ الفرص بين الرّجل والمرأة في تحمّل مختلف المسؤوليّات في جميع المجالات".

22 - عبد العالي معزوز، هشام شراي ونقد النظام الأبوي في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربيّة، عدد32، بيروت 2012

• صادقت تونس على كلّ الآليات الدوليّة المتعلّقة بحقوق النّساء من ضمنها:

- الاتّفاقيّة الدوليّة حول حقوق النّساء السّياسيّة

- العهد الدوليّ للحقوق المدنيّة والسّياسيّة

- اتّفاقيّة القضاء على كلّ أشكال التّمييز ضدّ النّساء "السّيّداو" سنة 1989 وإن كان ذلك مرفوقا بتحفظات تعلّقت خاصّة بمسألة المساواة في الإرث وإسناد اللّقب العائلي وقد رُفعت التّحفظات في 2011 وقُدّم الرّفْع إلى الأمم المتّحدة سنة 2014 وصادقت تونس على البروتوكول الاختياري للسّيّداو في 2008 وبقي رفع "الإعلان العامّ " للسّيّداو وهو مطلب الجمعيّات النّسوية.

1 النّساء وهيئة تأليف الكتاب المدرسيّ

تضمّن كتاب القراءة للسّنة السّادسة من التّعليم الأساسي 64 نصّاً، نصيب النّساء كمؤلّفات اقتصر على 4 نصوص فقط بما يساوي %2.56 لا غير. يمكن أن نعتبر ذلك منذ المنطلق تحيّزاً ينبئ بسيطرة النّزعة الذّكوريّة على محتويات الكتاب. قد تتعلّل هيئة التّأليف بالنّقص الواضح في المؤلّفات النّسائية وقد يجدون التبرير في ضرورات الهدف البيداغوجيّ المراد تحقيقه ولكن أن يكون التّفاوت بهذا الشّكل فهو أمر يعكس خلفيّة إيديولوجيّة وفكراً ذكورياً.

من البديهيّ أن يكون المؤلّف حريصاً على جودة منتوجه وأن يضع في اعتباره كل المحدّدات البيداغوجيّة ولكن كان من المفروض ومن المنطقيّ أن يضع نصب عينيه عبر البحث والتّمحيص مبدأ التّوازن بين المؤلّفات والمؤلّفين بالنظر إلى المسلّمة النّفس- اجتماعية التي تؤكّد أنّ التّمثّلات حول الذّكورة والأنوثة مستبطنة وتظهر بشكل لا واع في دلالات المؤلّف "فالنّظام التربويّ لا ينقل فقط معارف من جيل إلى آخر بل إنّه ينتقي هذه المعارف المنقولة بحسب الجمهور المستهدف".²³

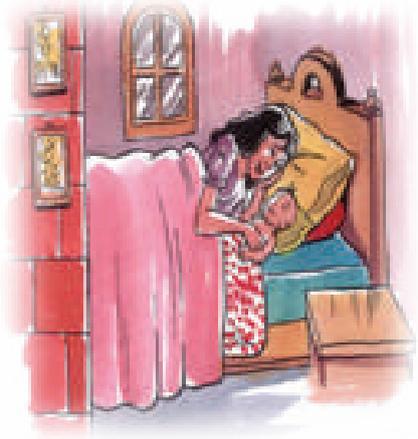
قد يتواصل التعجّب أكثر حين نخرج عن سياق مؤلّفي النّصوص التي تؤثت الكتاب المدرسيّ لتحدّث عن هيئة التّأليف نفسها، فمن بين ثمانية أفراد يشكّلون هذه الهيئة التي اشتركت في انتقاء النّصوص ووضع التّمارين وأخرجتها في شكل كتاب مدرسيّ لا نجد سوى امرأة وحيدة وهي ليست في هيئة الانتقاء بل في هيئة التّقييم، وبذلك فقد اقتصر التّأليف على 7 ذكور لا غير.

جدول عدد1: إجماليّ حضور المرأة بين مؤلّفي النّصوص وهيئة تأليف الكتاب المدرسيّ.

المجموع : 64	60	ذكور	مؤلّفو النّصوص
	04	إناث	
المجموع : 08	07	ذكور	هيئة التّأليف
	01	إناث	

إنّ اختيار العنوان في أيّ تأليف يحتلّ حيّزا من الاهتمام والتّفكير، فعليه يقع عبء الجذب وبالتالي تلعب دلالاته وأحيانا رمزيّته مكانة لا يستهان بها في البناء العامّ للمؤلّف أو للنصّ إن كان مقتطعا. من هنا يصبح للعنوان وقع خاصّ لدى التّلميذ المتقبّل والقارئ والدارس للنصّ.

صورة النّساء في العنوان لم تخرج عن إطار مرسوم لها سلفا وهي الأمومة في نصّين وقد وردا بصريح العبارة في حين أنّ العنوان الثّالث يشير إلى نشاط العزف والطّرب ولا نجد سوى عنوان وحيد يتحدّث عن نشاط المغامرة "مغامرة السيّدة غراهام".



بالنسبة إلى الذّكور تنوّعت العناوين في إشارات مباشرة للمجال المهنيّ وللأنشطة المختلفة ذات الصّبغة الذّكوريّة في الدّهنيّة العامّة وفي لا وعي الباطنّ والمتقبّل على حدّ سواء، فالذّكر هنا هو الرّاعي، هو الرّبّان الذي يصارع البحر (3 مرات) وهو شوّاء الرّؤوس بما يشير إلى أنّها مهن تقتصر على الذّكور فقط. أمّا بقيّة العناوين فقد تعلّقت بأنشطة يوميّة مختلفة، فالذّكر هو المنقذ، وهو اللّاعب، وهو الفارس وهو البطل وهو المتّمدّرس.

صفة التّمدّرس تثير بعض الرّيبة في ذهن القارئ بالنّظر إلى أنّ كل الإحصائيات تشير إلى غلبة المتّمدّرات على المتّمدّسين منذ سنوات تماما كما تثيرها صفة الرّاعي التي أسندت إلى الذّكر حصرا باعتبار الرّاعيات هنّ الأغلبية الآن في تونس.²⁴

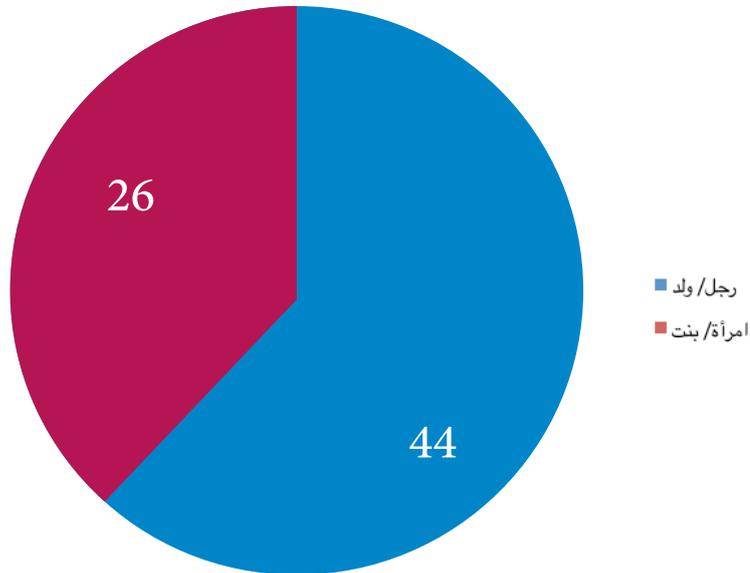
ملاحظة أخيرة تثيرها العناوين ودلالاتها، ففي باب البطولة التّاريخيّة تقع الإشارة إلى البطل الذّكر بصفته في نصّ "بطل من قرطاج" ويؤاّرَى ذِكر البطلة في العنوان عبر الإحالة إلى الواقعة التّاريخية "جلد الثّور" بالنّسبة إلى البطلة الأنثى فهل وقع السّهو أيضا عن ذكر اسم عليّسة كبطلة تاريخيّة أيضا أسوة بحنّبل؟



إنّ دراسة صورة النّساء في كتاب النّصوص للسّنة السّادسة من التّعليم الأساسيّ يمكن أن تقدّم لنا الجواب عن الأسئلة التّالية:
 رمزية العنوان ودلالته كما أسلفنا سابقا ستبدأ في تشكيل الرّؤية الجنسويّة داخل الكتاب المدرسيّ وهو ما سيتعمّق لاحقا.

3 النّساء في صور الكتاب المدرسيّ

بلغ عدد الصّور في الكتاب المدرسيّ موضوع الدّراسة 61 صورة تضمّنت منها 50 صورة شخوصا تهّمنا في تحليلنا القادم.
 من بين 50 صورة ظهرت النّساء في حوالي النّصف (26 صورة) مقابل 44 ظهورا للرجل أي ما يساوي تقريبا 80% منها، وهو ما يشير منذ البداية إلى طغيان جنس الذّكور على المشهد البصريّ للكتاب أمام التّلاميذ.
 رسم بيانيّ عدد 1: توزيع تواتر ظهور المرأة والرجل في صور الكتاب المدرسيّ.²⁴

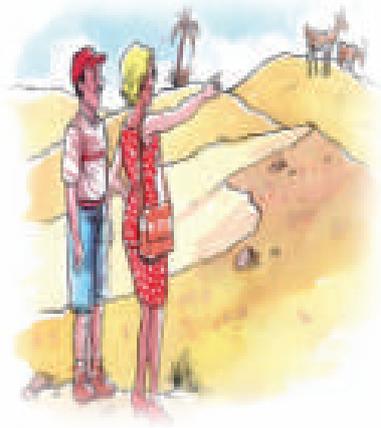


ندرك الآن عبر علوم الاتصال بأن للصورة سطوة وسلطة وأن التلميذ في بنائه لتمثلاته يعتمد على البصري بشكل كبير وبالتالي فالطغيان الذكوري سيأخذ حظه منذ البداية. لن ننتقل في تحليل دلالات الصور ولا في رمزية ظهور كل من النساء والرجال فيها ولا في شكل الصورة التي رسمتها ريشة رسام كلف بالتعبير مجازا عن محتويات النصوص- وهي مهمة في التأليف المدرسي لم تنل حظها من العناية بعد- ولكن من المفيد منذ البداية الإشارة إلى أن المشهد العام يبدو باهتا خاصة في مستوى الفضاءات التي توحى بها الصور (المغلقة / المفتوحة / العامة / الخاصة) ونصيب كل من الجنسين فيها من ناحية أولى ودلالة الألوان المعتمدة والتي تقتصر الزاهية منها (الأحمر / القرمزي / الوردية..) على النساء خاصة والألوان الداكنة نسيبًا (الأزرق والبني والأسود..) على جنس الذكور من ناحية ثانية.

هناك توجيه منذ البداية قد يكون واعيا أو لا واعيا يشكّل إعادة إنتاج لصور مستبطنة في ذهن الرسام أو لعله لم يدرك بعد تأثير هذه الأبعاد في تشكيل وعي الطفلة/الطفل سواء بذواتهما أو بالذوات المحيطة بهما وخاصة بتمثلهما للعالم الاجتماعي الذي يعيشون فيه. فالصورة في ذهن التلميذة/التلميذ أكثر تعبيرا من النص في حد ذاته رغم أنها تعبير مجازي عنه وهي أول ما يستقبل القارئ/القارئ وأكثر ما يرسخ في الذهن ويطوع خاصة المعاني الواردة فيه في مخيال التلميذة/التلميذ. سنترك الصور التي لا تبرز فيها ملامح النساء بشكل واضح ودالّ لنهتّم بالصور المعبرة عن خلفيّة الرسّام وعددها 21 صورة.

صورة النساء قدّمت بصفة عامّة بخلفيتين واضحتين، الأولى تقليدية بلباس تقليديّ ترمز عادة إلى الصور النمطية المرتسمة في الذهنية الشعبية (لباس ملون يغلب عليه اللون الأحمر، غطاء ملازم للشعر مع بعض الحليّ لمن استطاعت إليه سبيلا...) وقد قدّمت في نصف الصور تقريبا أي 10 من 21 صورة في الكتاب. أمّا الخلفية الثانية فهي عصريّة ولكنها أيضا محكومة برؤية نفس الألوان الفاقعة الغالبة الحمرة أولا وبالحلاقة المميّزة ثانيا ولم نجد ولو صورة تُخرج النساء بلباس أصبح اليوم في حكم المألوف وقبلته الذهنية الشعبية لا في المدن فقط بل وفي الأرياف أيضا (البدلة / السروال).

الصورة الوحيدة الأنيقة وذات الشعر الأصفر واللباس المتحرّر كان لسائحة وهو ما يحيلنا إلى مخيال الفاعل في عمق تصوّراتنا حول النّساء المحليّات بشكل عامّ والنّساء الغربيات بشكل خاصّ.

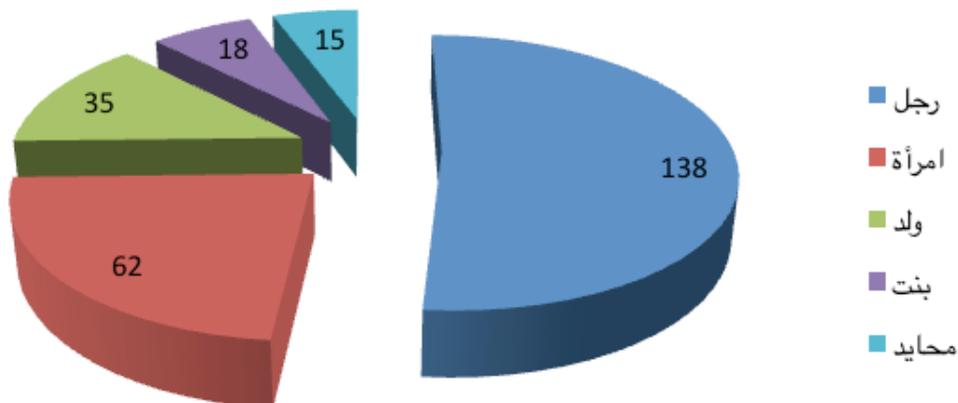


بالنسبة إلى الفتيات لم يخرجن عن إطار ما هو مرسوم لهنّ اجتماعيًا فالفتاة بلباسها المميّز (التنورة) وحلاقتها النّمطيّة المميّزة بالاكسسوارات على الجانبين تضي مسحة من السّكينة والهدوء الملتصقين بصورة الفتاة عامّة في أذهاننا وتصوّراتنا.

خلاصة أولى نستخرجها من صورة النّساء في الصّور أنّها باهتة تعيد إنتاج ما هو مستبطن اجتماعيًا وتؤبّده بل تستسيغه وتحاول ترسيخه في ذهنيّة المتعلّمة والمتعلّم في طور بنائهم لمواقفهم وتعديلهم لاتّجاهاتهم، صورة الأمّ أوّلا ثمّ صورة المرأة التّابعة والمستكينة ذات الملامح القلقة والمنتظرة ثانيا. وهي صور مهيمنة في معانيها في كتاب القراءة فهي الحانية (نص 5) وهي التي تحتاج رعاية ووصاية (نص 11) وهي التّابعة (نص 14) وهي المريضة (نص 16) وهي المستقلة (نص 28) والمستسلمة (نص 30).

4 الشخصيات

رسم بياني عدد 2: توزيع تواتر حضور الشخصيات في الكتاب المدرسي



جدول عدد2: توزيع نسبة حضور الشخصيات في الكتاب المدرسي وتواترها.

النسبة	التواتر	الشخصية
51,5	138	رجل
23,1	62	امرأة
13,1	35	ولد
6,7	18	بنت
5,6	15	محايد
100	268	المجموع

يشكل حضور الشخصيات في أي أثر أدبي أو علمي دلالة على تمثلات الفاعلين الاجتماعيين لوجودهم وفعلهم في الواقع الاجتماعي، إنه تدليل واع أو لا واع على مكانتهم وأدوارهم الاجتماعية وقدرات فعلهم في الواقع الاجتماعي، من هذا المنظور تتأني أهمية تعداد حضور الشخصيات في نصوص الكتاب المدرسي.

عدديًا بلغت شخوص الكتاب المدرسي 268 شخصية سواء في الصور أو في النصوص، وبإدخال متغير الجنس سلاحظ الفارق الكبير: أكثر من ثلثي الشخصيات ذكورية (64.6%) في حين لم يكن نصيب النساء سوى 29.8% أي أقل من الثلث باعتبار أن الخمس بالمائة المتبقية كانت لشخصيات محايدة.

هذا الفارق الدال والمعبر كميا يضيفي منذ المنطلق صبغة ذكورية توحى بالتوجه العام للمؤلفين، فكأن الفاعلين الاجتماعيين بمختلف صورهم هم ذكور بالأساس في الحياة العامة كما يجسد تصورًا عامًا مبنيا اجتماعيًا ومبررًا دينيًا بمقولة وللذكر مثل حظ الأنثيين إن كان الأمر واعيا في رؤية المؤلفين لاختياراتهم في مستوى النصوص أو بصفة لا واعية إن كانت اختياراتهم لم تضع مقياس الذكورة والأنوثة في ميزان الفعل التربوي. نصيب الرجل كان أكثر من النصف بقليل (51.5%) مقابل 23.1% للنساء، نضيف إلى ذلك نصيب الولد 13.1% مقابل 6.7% فقط للبنات، لتأكد أن التمييز لم يقتصر على الكهول فقط بل أبد الأمر وأعاد إنتاجه مع الأطفال ليكرّر نفس الصور بنفس المنطلقات نفس الصور النمطية. " فالنظام التربوي لا ينقل معارف فقط من جيل إلى

آخر، إنه ينتقي هذه المعارف المنقولة بحسب تمايز الجمهور المدرسي المستهدف، فإذا كنا أكدنا على التّمايز الاجتماعي واللامساواة اللّذين ينتجهما، فإنّ تمايزا جديدا أصبح محلّ اهتمام في الفترة الأخيرة هو التّمايز الجنسي²⁵.

هل يمكن أن نترك الأمر للحديث عن صدفة الاختيار؟ أو عن ضوابط البيداغوجيا ومحدّدات الأهداف المراد تحقيقها من الاختيار؟

قطعا لا، فأغلب الدراسات تؤكّد أن الكتب المدرسية تعاني من تفاوت كبير في نسبة حضور النّساء مقارنة بالرجال وهو الأمر الذي لا يقتصر على المجتمعات العربية بل ما زالت تعاني منه مجتمعات غربيّة قطعت أشواطاً كبيرة في مجال محاربة التّمييز الجنسيّ (انظر الدّراسات الواردة في البيبليوغرافيا).

هل يمكن أن نتحدّث عن عشوائية الاختيارات لدى المؤلّفين؟

قطعا لا، لأنّ المؤلّف ملزم باتّخاذ الاحتياطات اللّازمة ليس في الجوانب البيداغوجية فحسب وإمّا في الجوانب القيمية والوجدانية وفي قواعد العيش الجماعيّ ذلك أنّه وكما أسلفنا فالكتاب المدرسيّ ليس مجرد ناقل للمعارف بل هو حمّال قيم وقواعد اجتماعية وأكثر من ذلك هو مؤسس لتوجّهات ومنفذ نحو المستقبل.

هل يمكن التعلّل بنقص النّصوص النّسائية أو ذات الطّبيعة النّسويّة؟

قطعا لا، لأنّ المؤلّف ملزم في اختياره للنّصوص بمراعاة الجوانب القيمية وبإيلاء مسألة الهوية الجنسيّة والاجتماعية المكانة التي تستحقّها، إذ لا يكفي أن يحقق النّص أغراضه العلميّة والبيداغوجية بل يجب أن يوجّه أيضا لخدمة بقية الأغراض القيمية والاجتماعية.

25- Systme scolaire et strotypes sexistes, Nicole mosconi, 2013-2014 ;p13

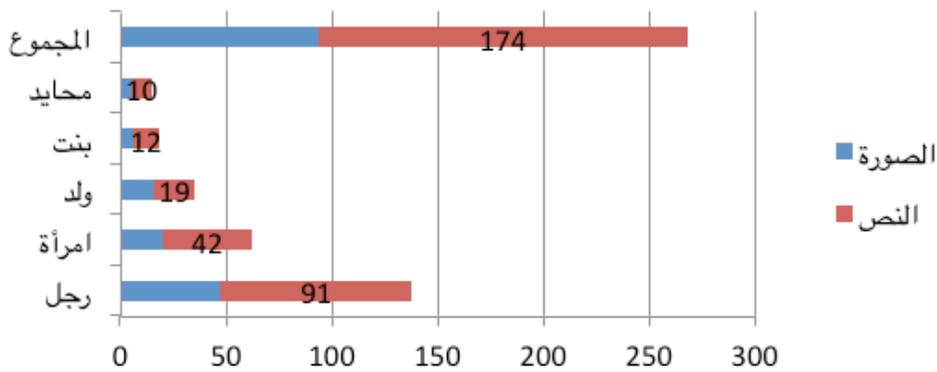
5 أين تظهر الشخصيات؟

سبق وأن أشرنا إلى الصورة ودورها في تشكيل وعي الناشئة وبناء الهوية الذاتية فالصورة تلعب دورا جاذبا للمتعلّمة/المتعلّم باعتبارها أوّل ما يقع بصره(ها) عليه عند إعداد الدرس.

حضور الصورة أحيانا قد يكون طاغيا على مخرجات النّص وموجّها لها فالمتعلّمة/ المتعلّم أثناء تمثله(ها) للشّخص داخل المتن الذي هو بصدد قراءته يرتبط ضمنياً بشخص الصورة التي شكّلت له(ها) تمثّلاته(ها) حولها، ولعلّ الوعي بذلك هو الذي دفع المؤلّفين لجعل الصورة مصاحبة تقريبا لكلّ النّصوص (61/64)

يُظهر الجدول التّالي ثمّ الرّسم البياني مواقع حضور الشّخصيات سواء في الصّور أو في النّصوص:

رسم بياني عدد3: توزيع حضور الشّخصيات في الكتاب المدرسيّ



جدول عدد 3: توزيع تواتر ونسبة حضور الشّخصيات في الكتاب المدرسي وتواترها بين الصّورة والنّص.

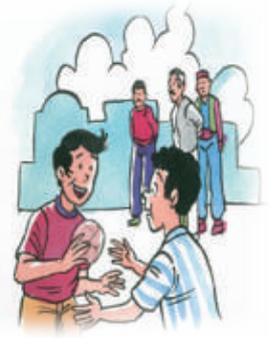
المجموع		النّص		الصورة		الشخصية
النسبة	التواتر	النسبة	التواتر	النسبة	التواتر	
51,5	138	34,0	91	17,5	47	رجل
23,1	62	15,7	42	7,5	20	امرأة
13,1	35	7,1	19	6,0	16	ولد
6,7	18	4,5	12	2,2	6	بنت
5,6	15	3,7	10	1,8	5	محايد
100	268	64,9	174	35,1	94	المجموع

إنّ تشكيل الملامح العامّة سواء النّفسيّة أو الجسديّة للشّخصيات ينطلق من الصّور ويعود إليها وهذا ما يدعونا للقول ببعض الإجحاف في ظهور الشّخصيات:

يظهر الرّجل في الصّور المصاحبة 47 مرّة مقابل 20 مرّة فقط للنساء ويظهر الولد 16 مرّة مقابل 6 فقط للبنات، فهل يمكن الحديث عن صدفة؟

إذا ما تمعنّا في الأرقام فقد تبدو لنا عادية: تقريبا نفس تواتر الحضور بحساب النّصف في الصّور مقابل النّصوص (بالنسبة إلى الرّجال، النساء، البنات) ولا نجد التّمييز سوى بالنّسبة إلى الأولاد حيث يكون عدد الحضور في النّص أو في الصّورة متقاربا (16 حضور على 19).

إنّ هيمنة الحضور الرّجاليّ في الصّور مقابل الحضور النّسائيّ له تأثير في تمثّل المتعلّمة / المتعلّم وتصوره للشّخصيات بتركيزه الأكبر على الحاضر في الصّورة مهما كانت قيمة المعاني الواردة في النّص المصاحب، فهل فكّر المؤلّفون والرّسامون في إيجاد نوع من التّوازن الذي يحيل إلى تبني الرّؤية الجديدة القائمة على

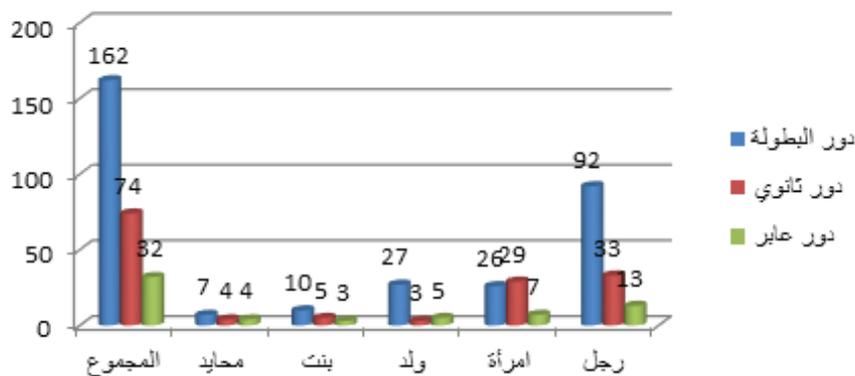


مقاربة النّوع الاجتماعيّ والسّاعية إلى ترسيخ قيمة المساواة والتّكافؤ بين الجنسين أم أنّ الأمر ترك للصدفة أم كان مجرد سهو لا غير؟
قد تتضح الصّورة لاحقا وخاصة في مكانة الشّخصيات عند ظهورها.

6 مكانة الشّخصية في الظهور

لا يكفي ظهور الشّخصية، ولا يكفي ذكرها سواء في النّص أو في الصّورة، ذلك أنّ المتعارف عليه في النّص الأدبيّ خاصّة هو مكانة الشّخصية عند ظهورها، أتلعّب دور البطولة؟ أم دورا ثانويا؟ أم هي شخصية عابرة لا تأثير لها؟

رسم بياني عددي: توزيع تواتر مكانة الشّخصيات عند الظهور في الكتاب المدرسي



جدول عدد4: توزيع تواتر مكانة الشخصيات عند الظهور في الكتاب المدرسي.

المجموع		دور عابرة		دور ثانوي		دور بطولة		
النسبة	التواتر	النسبة	التواتر	النسبة	التواتر	النسبة	التواتر	الشخصية
51,5	138	4,9	13	12,3	33	34,3	92	رجل
23,1	62	2,6	7	10,8	29	9,7	26	امرأة
13,1	35	1,9	5	1,1	3	10,1	27	ولد
6,7	18	1,1	3	1,9	5	3,7	10	بنت
5,6	15	1,5	4	1,4	4	2,6	7	محايد
100	268	11,9	32	27,6	74	60,4	162	المجموع

بالعودة للمعطيات الإحصائية نجد أن الذكور وقع التطرق إليهم 119 مرة كأبطال من مجموع 173 ظهورا وظهروا 36 مرة كشخصية ثانوية، في حين أن الإناث كان نصيبهن من أدوار البطولة 36 مرة على مجموع 70 ظهور و34 مرة في شكل شخصية ثانوية. الفارق في الحضور واضح وجلي فنصف حضور النساء اعتبر ثانويًا "مكملاً" للمشهد وهو ما يعمق الفارق في مستوى الحضور العام الذي سبق تحليله، ذلك أن الحضور الذكوري لم يقتصر على مجرد عدد مرّات الحضور وهو الأكبر وبفارق شاسع بل زاد تعميق تهميش النساء عبر الحضور الثانوي للنساء في عدد من المرّات لامست نصف نسبتها من الحضور العام. يتّضح الأمر بالنسبة إلى الأولاد البنات، وهم/ هنّ هنا في ملعب تنشّتهم الاجتماعية وتشكيل وعيهم الخاصّ بهم/ بهنّ باعتبارهم بصدد تلقّي نفس المعارف واستبطان نفس القيم والقواعد الاجتماعية، ذلك أن نسبة حضور الأولاد كأبطال تبدو طاغية مقارنة بالبنات حيث أنّ 27 ولدا صوّر كبطل على 35 ظهورا لا يقابله سوى 10 مرّات للبنات على 18 ظهورا. تبدو الفتاة والنسوة عامّة كمن يقبل بالأدوار الثانوية اجتماعيًا سواء في المجال المهنيّ أو العامّ أو المفتوح (سيّضح هذا لاحقاً) ولكن الملفت للانتباه هو أنّه حتى المجال العائليّ والمنزليّ الذي في مستوى الذهنية العامّة يُعتبر مملكة خاصّة للنساء فقدن السيطرة عليه في نصوص الكتاب المدرسيّ حيث نجد غالبية الأبطال في هذا الفضاء ذكورا يقرّرون ويتحمّلون المسؤولية وتبدو الأمّ مجرد تابعة تنتظر التوجيه والنصح والمساعدة أمّا الأخت فهي مغيّبة فيه تماماً أو تكاد.

إنّ هذا يرسخ في أذهان ناشئتنا موروث مجتمع أبويّ يجعل النّساء تابعات وكائنات ثانوية ويسعى إلى تأييد هذه التّبعيّة.

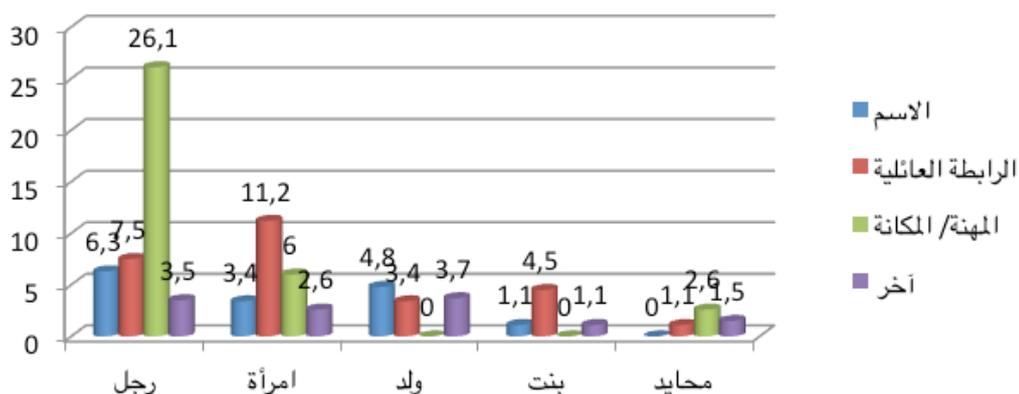
7 تعيين شخصيّات الكتاب المدرسيّ

تعتبر العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بأنّ طريقة التّعيين، بما تعنيه من تسمية أو طريقة المناداة أو التّخاطب إشارة إلى مرجعيّة نفس-اجتماعية تستبطنها كلّ مجموعة اجتماعية وتختلف من مجموعة إلى أخرى بحسب مرجعيّتها وخلفياتها الاجتماعية، فطريقة الإشارة إلى الشّخوص أو المناداة أو التّسمية تستبطن رموز تلك المجموعة في علاقاتها وأدوارها الاجتماعية وفي تراتبيّتها خاصّة.

رجعُ صدى هذه التّمثّلات تظهر في كيفية تعيين شخصيّات الكتاب المدرسيّ في نصوص مؤلّفها باعتبارها لا يمكن أن تخرج عن إطار إعادة إنتاج ما هو سائد في التّعاملات اليوميّة وبالتالي لا يمكن أن نُغفل مثل هذا المعطى في عمليّة اختيار النّصوص الواردة في الكتاب المدرسيّ.

اخترنا من المتغيّرات ثلاثة رئيسية وهي الاسم (الإشارة إلى الشخصية عبر اسم علم مذكّر أو مؤنّث) والعلاقة الدّمويّة أو الرّابطة العائلية (أب/ أمّ / أخ/ أخت/ خالة.....) والمهنة عبر ربطها بالمكانة أحيانا باعتبارهما يردان في بعض الشّخصيات مرتبطين (طبيب/ راع/ ربّان/ خيّاطة/....) وأعطينا أنفسنا من بقيّة التّعيينات باعتبارها غير ذات دلالة.

رسم بياني عدد 5: توزيع نسبة تعيين الشخصيات في الكتاب المدرسي.



جدول عدد5: توزيع نسبة التعيين بين الشخصيات في الكتاب المدرسي.

الشخصية	الإسم	الرّابطة العائلية	المكانة/المهنة	آخر	المجموع
رجل	6.3	7.5	26.1	3.5	51.5
امرأة	3.4	11.2	6	2.6	23.1
ولد	4.8	3.4	0	3.7	13.1
بنت	1.1	4.5	0	1.1	6.7
محايد	0	1.1	2.6	1.5	5.6
المجموع	15.6	27.7	34.7	22	100

القراءة الأولى للنتائج تُظهر ما هو مستبطن في لا وعي المؤلّفين والذي يمثّل كما سبق ذكره في مقاطع سابقة إعادة إنتاج للسائد الاجتماعي، حيث نجد أنّ نصف الشخصيات الذكورية وقعت الإشارة إليها بتعيين مهنيّ أو مكانيّ، ونصف النساء والفتيات وقع تعيينهنّ بواسطة الرّابطة الدّمويّة (%50.7 للرجال عبر المهنة و%48.7 للنساء عبر رابطة الدّم) والمعنى هنا مثير للانتباه. فعند الحديث عن الرّجل يكون للمعطى المهنيّ الأولوية وحين يتعلّق الأمر بالنساء تصبح الرّابطة الدّموية هي ذات الأولوية.

نجد في النّصوص ما يشير إلى الرّجل كرّبّان وقائد سفينة وسائق وصيّاد وقائد وفلاح وطبيب ومهندس ومنشّط في حين يرد نصف تسميات النساء بصفة "أمّ" في المنزل.

نصف الشخصيات النسائية الواردة في الكتاب المدرسيّ وقعت الإشارة إليها باعتماد الرّابطة الدّموية فهي أمّ بالأساس وفي بعض النّصوص خالة حيث نجد من بين 62 شخصية نسائية ورد ذكرها



30 قدّمن على هذا الأساس في حين لا نجد ذكرا للأب سوى في 14.5 بالمائة من نسبة الذّكور المشار إليهم في النّصوص بواسطة الرّابطة الدّمويّة.

ويصبح الأمر أخطر عندما نهتمّ بالناشئة أي معطى ولد/ بنت - بما يتضمّن ذلك من فعل استبطان ذاتي للمتعلّّمت/المتعلّمين باعتبارهم المعنيين بالمسألة مباشرة. فمن مجموع 18 فتاة وقع ذكرهنّ في الكتاب نجد 11 منهنّ وقعت الإشارة إليهنّ عبر القرابة العائلية وتحديدًا بصفة الأخت (الأخت المريضة، الأخت التي تنادي أباها للعشاء، الأخت التي تساعد داخل العائلة...) أي ما يساوي %61.1 وهو الأمر الذي ينزل إلى حدود الرّبّع فقط (%25.7) عندما يتعلّق الأمر بالذّكور الفتيان فهم الذين يسمّون بأسمائهم (%28.6 من مجموع تعيينهم) كما يبيّنه الجدول التّالي:

جدول عدد6: توزيع نسبة تعيين كل من البنت والولد في الكتاب المدرسي وتواترها.

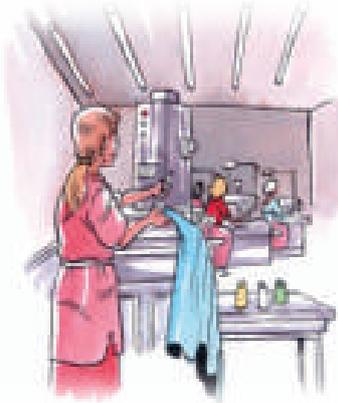
المجموع		الرّابطة الدّموية		الإسم		الشخصية
النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	
54.3	19	25.7	9	28.6	10	ولد
77,8	14	61.1	11	16.7	3	بنت

تظهر لنا البيانات السابقة أنّ الذكور يُسمّون على الأغلب بأسمائهم وهم يلعبون ويلهون ويقومون بأدوار اجتماعية ويساعدون ويتخذون القرارات عندما يستوجب الأمر، كما يتحمّلون المسؤولية عند غياب الأب أو في حالة عجزه وذلك رغم حضور الأمّ ولا يكون للأخت أيّ دور في ذلك حسب منطوق النصوص.



عندما نلاحظ أنّ أكثر الأسماء تواترا في الكتاب المدرسي ذكورية وتتعلّق أساسا بأسماء الأولاد تصبح التّزعة الذكورية سائدة ولا يلتصق بالبنت سوى صورة الأخت. ولم تخرج النصوص عن هذا السياق سوى في نصّين ذُكرت فيهما الفتاة باسمها وكانت فاعلة في بحوثها وإعدادها لعملها حول الحشرات أو في مساهمتها في نشاط البطة المطيعة تحت إشراف مدرّبتها، في حين نجد النصّ الثالث الذي ذُكرت فيه الفتاة باسمها وهي العازفة خجولة وخائفة ومرتبكة.

يتعمّق الأمر أكثر حين نجد أنّه من 46 شخصية وقع ذكرها بصفتها المهنية لا نجد سوى 5 نساء مقابل 42 رجل، أي أنّ نسبة اشتغال النساء حسب النصوص المختارة هي 8.7% لا غير والأدهى هنا هو أنّ النساء الأربع اللاتي وقع ذكرهنّ في المجال المهنيّ هنّ ثلاث يعملن في ميدان الخياطة أمّا الرّابعة فهي ممرّضة في حين لم نجد منصبا يسند إلى

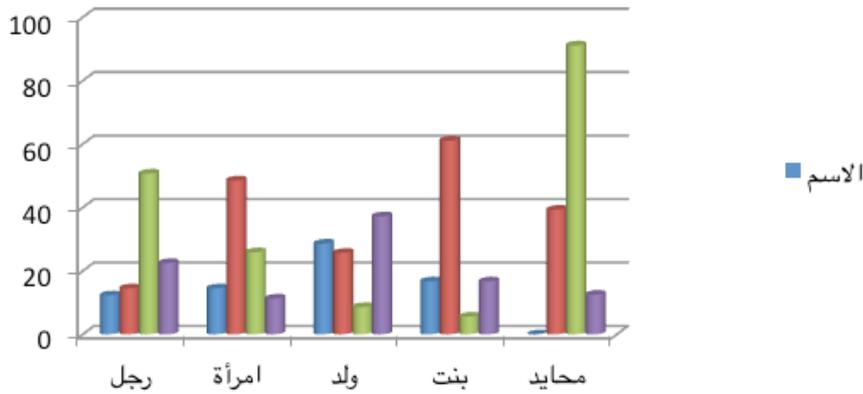


المرأة سوى مديرة ناد للأطفال.

للإشارة فقط هنا أنّ المهنة النسائية المذكورة في نصوص الكتاب المدرسي هي تأكيد على الصّور النمطية التقليدية التي خلنا أنّنا لن نجدّها في الكتب المدرسيّة الحديثة التّأليف فميدان الخياطة وميدان التّمرّيز والاهتمام بالأطفال في نواديهم هي المهنة التي تُحصر فيها النّساء بكلّ امتياز في الذّهنية العامّة وفي التّقسيم الاجتماعيّ السّائد للعمل على أساس جنسيّ وهو ما سيتمّ إفراده بتحليل خاصّ في عنصر لاحق.

قد لا تعطي الأرقام الواردة في الجدولين السّابقين الصّورة الواضحة أو الدّلالة المرجوّة ولكن حين ننظر للجدول والرّسم البيانيّ التّاليين اللّذين يشكّلان لنا التّعيين من منظور جنسيّ قد يصبح الأمر أوضح.

رسم بيانيّ عدد6: توزيع نسبة تعيين الشّخصيات حسب الجنس.



جدول عدد7: توزيع تواتر ونسبة تعيين الشّخصيات حسب الجنس.

المجموع	آخر	المكانة/المهنة	الرّابطة العائلية	الإسم	الشّخصية
100	22.5	50.7	14.5	12.3	رجل
100	11.3	25.9	48.4	14.5	امرأة
100	37.2	8.6	25.7	28.6	ولد
100	16.7	5.6	61.1	16.7	بنت
100	12.5	91.1	39.3	0	محايد
100	22	36.2	27.7	14.6	المجموع

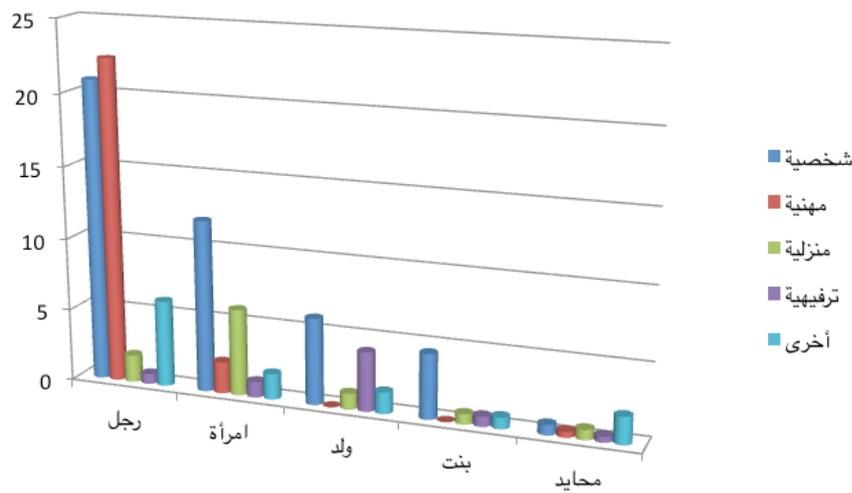
وهو ما يفيد بشكل برقي المتغيّرات الدّالة التّالية:

- أكثر من نصف الرّجال يشار إليهم عبر المهنة / المكانة.
- نصف النّساء المذكورات يشار إليهنّ عبر الرّابطة الدّموية.
- أكثر من 60 % من الفتيات يشار إليهنّ بواسطة الرّابطة الدّموية.
- أكثر من 30 % من الفتيان يشار إليهم بالاسم بما يتجاوز مرّتين أسماء الفتيات.

تشكل السمات وهي نفسية أو جسدية تماما كالملحقات وهي مجموع الأدوات التي تظهر ملازمة للصورة إحدى أهم أدوات تحليل صورة الشخصية في الكتاب المدرسي ولم نشأ التفريق بينهما باعتبار التلازم الذي يحصل غالبا بين سمة ما وملحق كصورة الطبيب التي لا تفارقها سماعة دقات القلب أو صورة البحار الذي لا تفارقه الشبكة ولذا دمجنا بينهما في تحليل إجمالي سيأخذ لاحقا بعض التفريقات عند الدخول في التخصيص.

وزعنا في دراستنا الملحقات والسمات إلى شخصية، مهنية، منزلية/عائليّة وترفيهية فكانت النتائج كالتالي:

رسم بيانيّ عدد 7: توزيع نسبة الملحقات على شخصيات الكتاب المدرسيّ.



جدول عدد 8: توزيع نسبة السمات والملحقات على شخصيات الكتاب المدرسيّ.

الشخصية	شخصية	مهنية	منزلية	ترفيهية	آخر	المجموع
رجل	20.9	22.4	1.9	0.7	6	51.5
امرأة	11.9	2.2	6	1.1	1.8	23.1
ولد	6	0	1.1	4.1	1.5	13.1
بنت	4.5	0	0.7	0.7	0.8	6.7
محايد	0.7	0.4	0.7	0.4	1.9	5.6
المجموع	45.5	25	10.4	7.1	22	100

السّمات والملحقات المهنيّة نجدها تقريبا ملازمة لنصف الرّجال بحساب %43 في حين أنّها لا تتجاوز العشرة بالمائة لدى النّساء والفتيات وهو أمر سبق تحليله باعتبار طغيان الظهور الرّجالي على عالم الشّغل (أكثر من نصف الرّجال يظهرون بهذه الصّفة عموما في الكتاب المدرسيّ) لذا لا غرابة أن ترتبط %45 من ملحقات وسمات المهنة بجنس الذّكور مقابل %10 للنّساء فقط.

وفي المقابل، نجد أنّ السّمات العائلية والمنزلية وملحقاتهما ترافق الإناث نساء كنّ أم فتيات فمن ضمن 28 ملحقا وسمة منزلية وعائلية حازت منها النّساء والفتيات 18 ملحقا بما يساوي قرابة السّبعين بالمائة (%68.2) مقابل %17.9 فقط للرّجال و%8.6 للأولاد، بقيت %7.1 أسندت إلى شخصيات محايدة وهو ما يحيلنا إلى ذهنية المؤلّف التي لم تخرج بعد عن إطار الفعل الذّكوري وبالتالي تشير بشكل متخفّ إلى جنس بعينه ويحيلنا إلى صور نمطيّة مكشوفة ما زالت مهيمنة على كتبنا المدرسيّة.

إذا رمنا التعمّق أكثر في الموضوع سنجد أنّ من ضمن 173 شخصية ذكوريّة لا نجد سوى 8 شخصيات تعلّقت بها سمات وملحقات عائليّة ومنزليّة في حين أنه من بين 80 شخصية نسائيّة نجد 18 شخصية ألحقت بها سمات وملحقات عائليّة ومنزليّة والأرقام هنا دالّة لا لبس فيها تفيد إعادة إنتاج لصور مضمّنة في لا وعي المؤلّف (كاتب النّص) أو المنتقي (هيئة التّأليف) الطّاغية عليهما التّزعة الذّكورية.

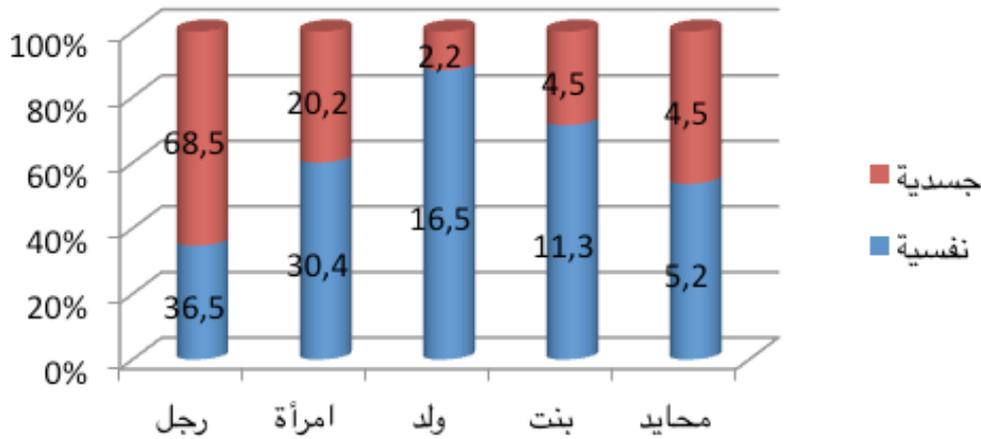
بالنسبة إلى السّمات والملحقات الشّخصية فالأرقام في الجدول السّابق لا يمكن أن تكون خادعة لنا، لأنّ ما سنبيّنه في الجداول اللاحقة سينير لنا الطّريق أكثر، ذلك أنّ أغلب السّمات الشّخصية وملحقاتها بالنّسبة إلى النّساء تحيلنا إلى الصّور النمطيّة لهنّ في الذهنية السّائدة، صورة الأمّ والأخت في مملكتهما المنزلية ومن مجموع 80 شخصية ذُكرت في الكتاب نجد أنّ 44 امرأة أو فتاة تعلّقت بهنّ ملحقات وسمات شخصيّة.

بالنسبة إلى السّمات والملحقات التّرفيهيّة والرياضيّة فإنّ الفارق دالّ بين الفتيان

والفتيات. فمن بين 35 ولدا وقع ذكركم نجد 11 أرفقت بصورهم متعلقات ترفيهيّة ورياضيّة في حين لا نجد سوى فتاتين من بين 18 فتاة وهو ما سيّضح لاحقا في تواجد الفتيات في الفضاءات المفتوحة عكس الفتيان، الكرة في الشارع والدراجة ورحلات الصّيد وغيرها حكر على الأولاد دون البنات...

وإنّ سعينا إلى تفصيل هذه السمات والملحقات إلى جسديّة ونفسيّة فسيّضح الأمر أكثر،،،

رسم بياني عدد8: توزيع نسبة السمات والملحقات الجسدية والنفسية على شخصيات الكتاب المدرسي.



جدول عدد9: توزيع نسبة السمات والملحقات الجسدية والنفسية على شخصيات الكتاب

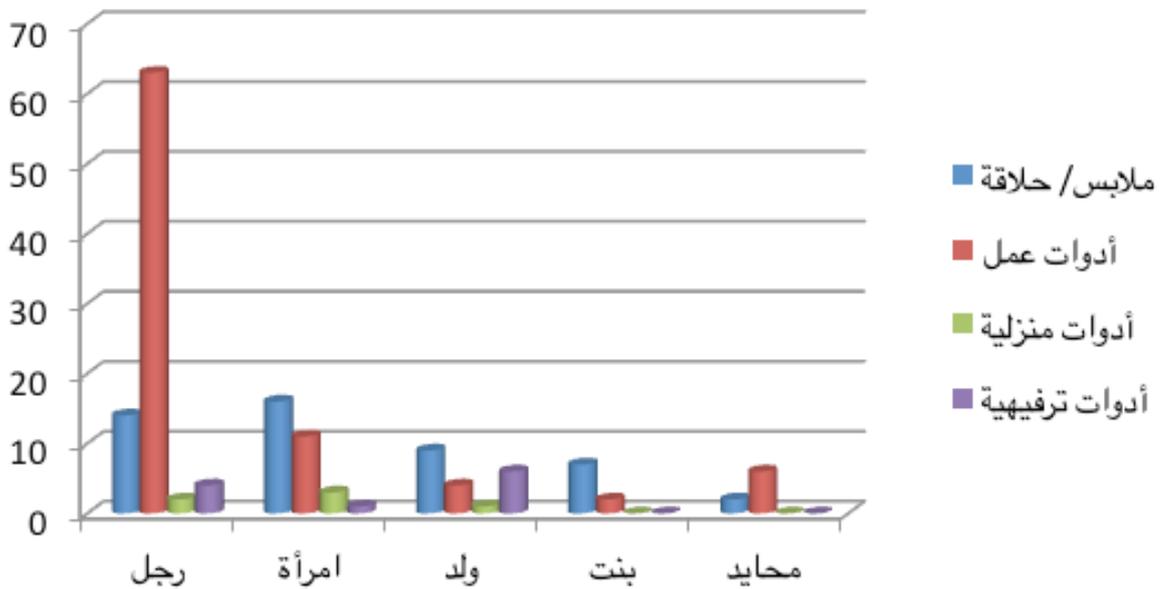
الشخصية	رجل	امرأة	ولد	بنت	محايد	المجموع
نفسية	42	35	19	13	6	115
	36,5	30,4	16,5	11,3	5,2	100
جسدية	61	18	2	4	4	89
	68,5	2,20	2,2	4,5	4,5	100
المجموع	68,5	2,20	2,2	4,5	4,5	204
	50,5	26	10,3	8,3	4,9	100

للهولة الأولى تبدو الأرقام غير ذات دلالة فالرجال تعلقت بهم سمات وملحقات نفسية بنسبة 36% مقابل 30% للنساء وهو أمر غير دال إحصائياً، ولكن إن أعدنا ترتيب الأرقام من جديد والنظر إليها من زاوية مخالفة سيكون للأمر وقع آخر، لقد احتسبنا هنا فقط الشخصيات التي تعلقت بها سمات وملحقات جسدية كانت أو نفسية وليس مجموع الشخصيات الواردة في الكتاب المدرسي وبالتالي نزل عدد الشخصيات إلى 204 عوض 268 توزعت كالتالي: 103 رجال، 53 نساء، 21 فتیان، 17 فتيات و10 محايدون.

ومن هنا ستصبح للأرقام دلالة مفيدة من ناحية النوع لأن الملحقات الجسدية ستتبع أكثر من 68% من الرجال مقابل حوالي 30% من النساء في حين أن الملحقات النفسية ستكون ملازمة بنسبة 66% للنساء مقابل 34% للرجال أي العكس تماماً، للرجل دوماً علامات جسدية مقابل العلامات النفسية للنساء. فالنساء في الذهنية السائدة منبع الحنان والرفقة والجمال والأناقة مقابل القوة والعنف والبنية الجسدية لدى الذكور.

نستمر في التفصيل والتدقيق عبر التطرق إلى نوعية الملحقات المرفقة بصورة الرجل أو المرأة وهو ما يبيئه لنا الجدول والرسم البياني التاليان:

رسم بياني عدد9: توزيع تواتر نوعية الملحقات بالشخصيات في الكتاب المدرسي



جدول عدد 10: توزيع تواتر نوعية الملحقات بالشخصيات في الكتاب المدرسي

الشخصية	رجل	امرأة	ولد	بنت	محايد	المجموع
ملابس/حلاقة	14	16	9	7	2	48
أدوات عمل	63	11	4	2	6	86
أدوات منزلية	2	3	1	0	0	6
أدوات ترفيهية	4	1	6	0	0	11
المجموع	103	53	21	17	8	151

اخترنا في هذا الأمر أن نرى الملحق الأكثر تمييزاً للشخصية بما يعنيه ذلك من تأثير في المتعلمة أو المتعلم من ناحية أولى أو الذي يترك أثراً في نفسيته (ها) من ناحية ثانية وبالتالي كان لزاماً علينا إهمال عدد من الملحقات التي قد لا تثير الانتباه أو أنها مشتركة. واقتصرنا على أربعة أصناف اعتبرناها دالة وهي الملحقات المهنية كأدوات العمل والملحقات الجسدية كملحقات الثياب والحلاقة والملحقات المنزلية كأدوات العمل المنزلي وأخيراً الملحقات الترفيهية والرياضية كأدوات الترفيه.

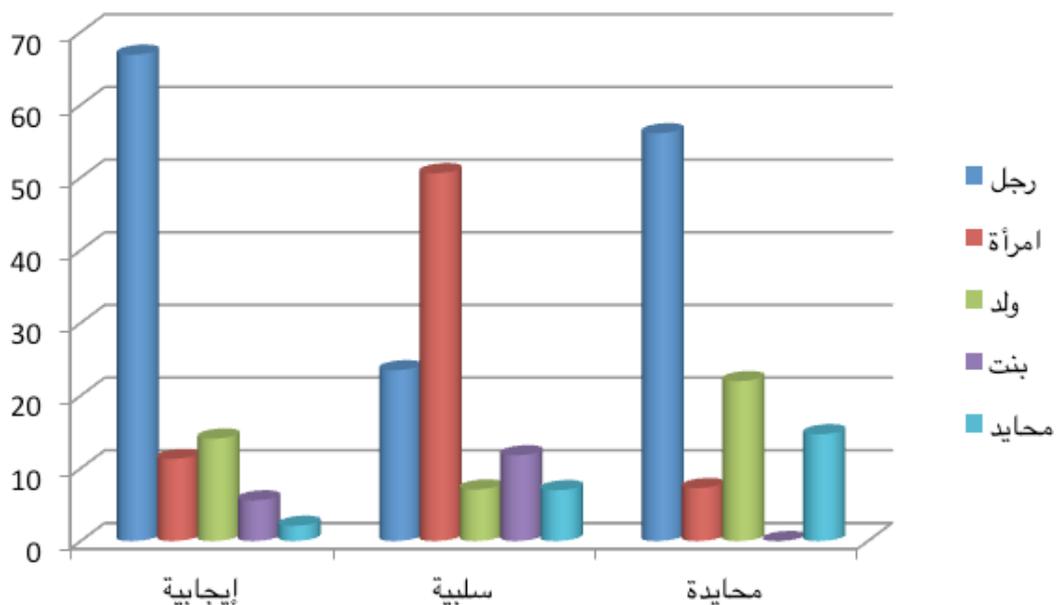
لم تخرج الأرقام عما هو سائد في التحليل السابق ولم تعارض ما دللنا عليه في التحاليل السابقة حيث نجد أن النساء يشار إليهنّ دوماً عبر ملابسهنّ وحليهنّ وطريقة حلاقتهنّ أكثر من الرجال (23 إشارة من ضمن 48 شخصية التصقت بها هذه الملحقات) في حين نجد أن الملحقات المهنية تعلقت بالرجال وبشكل واضح تماشياً مع المعطى المهني الذي سبقت الإشارة إليه حيث بلغ التواتر 67 للرجال مقابل 13 للنساء والفتيات لا غير.

بالنسبة إلى الملحقات الترفيهية والرياضية يصبح الأمر أكثر من دالّ خاصة عندما يتعلّق الأمر بالأولاد والبنات، حيث لا نجد ولو أداة ترفيه واحدة مرفقة بشخصية البنت في حين نجدها مرفقة بستّة أولاد بما يعنيه أن 54% من مجمل الملحقات الترفيهية والرياضية تعلقت بالأولاد مقابل صفر بالمائة بالنسبة إلى البنات.

لو أعدنا قراءة الأرقام بطريقة مغايرة عبر البحث في العلاقة بين متغيّر الجنس كمتغيّر مستقلّ ومتغيّر الملحق كمتغيّر تابع سنجد أنّ 73% من الرّجال استحوذوا على ملحقات مهنية مقابل 12% فقط للنساء في حين أنّ 50% من الملحقات المنزلية والعائلية استحوذت عليها النساء مقابل 33% فقط للرّجال ولكنّ التّمعّن في التّحليل يجعلنا نرى أنّ هذه الملحقات المنزليّة المتعلّقة بالرّجال كانت بعيدة عن المتعارف عليه كأدوات العمل المنزليّ إذ أنّها تعلّقت بالمنزل في حدّ ذاته أو بالحديقة وأشجارها وملحقات المملكيّة داخل المنزل.

صحيح أنّه لم تقع الإشارة كثيرا إلى ملحقات منزلية ملتصقة بالنساء ومثيرة للانتباه وتشكّل صورا نمطيّة فاضحة عدا مرّات قليلة عبر الإشارة إلى غسل الخضر وإعداد الطّعام والاهتمام بشؤون المنزل أو إعداد الحلويات للعيد، إلّا أنّ الصّور الخفيّة والأخطر هي المتضمّنة لمجالات الفعل النّسائي داخل بنية النّص وهو الأمر الذي ينعكس وجوبا على مجمل الصّورة أي صورة النّساء في سلبيتها أو إيجابيتها أو حيادها. حاولنا عبر التقاطعات بين مكانة الشّخصية وتعيينها وسماتها وملحقاتها أن نجد المعطى الأساسي الذي نبحت عنه وهو صورة الشّخصية في الكتاب المدرسيّ، أي كيف تقدّم الشّخصيّة؟

رسم بياني عدد 10: توزيع نسبة صورة الشخصية في الكتاب المدرسي



جدول عدد 11: توزيع ونسبة صورة الشخصية في الكتاب المدرسي وتواترها

الشخصية	رجل	امراة	ولد	بنت	محايد	المجموع
إيجابية	95	16	20	8	3	142
	66.9	11.3	14.1	5.6	2.1	100
سلبية	20	43	6	10	6	85
	23.5	50.6	7.1	11.8	7	100
محايدة	23	3	9	0	6	41
	56.1	7.3	22	0	14.7	100
المجموع	138	62	35	18	15	286
	51.5	23.1	13.1	6.7	5.6	100

لا اعتقد أنّ الأرقام تخفي هنا شيئاً، فحوالي 70% من صورة الشخصيات الإيجابية رجالية مقابل 11.3% لصورة النساء ونفس الفارق تقريباً يتكرّر مع الأولاد والبنات (14.1% للأولاد مقابل 5.6% للبنات) فهل يمكن أن يُفسّر ذلك بالصدفة؟

صورة الأنثى تبدو قائمة حيث أنّ ظهورها ملازم بالسلبية بحساب 62.4% من جملة الصور السلبية مقارنة بالذكور (30.6%) وهو ما يشير إلى معنى سلبي مستبطن في ذهنية المؤلّفين وقد لا تكون هيئة التّأليف انتبعت إليه فكان الأمر عبارة عن إعادة إنتاج لما هو سائد ثقافياً واجتماعياً دون التعاطي الحذر مع جملة القيم التي يسعى الكتاب المدرسيّ لا إلى نقلها فقط بل إلى ترسيخها في تمثّلات المتعلّقات والمتعلّمين.

هذه الصورة قُدّمت في شكلين متنافرين ظاهرياً ولكنهما مترابطان في المعنى العامّ بالنظر إلى الإيحاءات التي يرمزان إليها. فالنساء في الكتاب يبرزن ظاهرياً في صورة إيجابية عبر إسباغ صفات عليهنّ تبدو ظاهرياً مقبولة فالمرأة هي الحنونة، الجميلة، الحساسة، الضاحكة، المبتسمة، المضحية، الأنيقة، الذكية، الشجاعة، الهادئة، المحبّة.... ولكنها أيضاً تبرز في صورة سلبية تبدو هي الطّاغية بحساب الأرقام وبحساب الصّفات التي ترتبط بها فهي المطيعة، التابعة، السلبية، المتردّدة، الصّائحة، المولولة، الباكية، الخائفة، القلقة، الضّعيفة، العاجزة، الغبية، الماكرة، الصّامتة، الفضوليّة...

• " وإذا يدا الأمّ تمتدّان في شيء من الإصرار إلى رقبتها فتتزعان العقد الذهبيّ ثم

تتناوبان على نزع الأساور... " النص 5

- " لم يفق الرّاعي من نوبته إلاّ على صوت أمّه تصرخ " النص 8
- " نظرت فاطمة ولم تنبس بكلمة وإن كانت قد مطّت شفتها السفلى أسفا " النص 10
- " شدّت المرأة على يديّ بقوّة كأنّها تنقل مسؤوليّة رعايتها من ابنها وتحملني إيّاها " النص 11.

• " وكريستين جامدة، انحبست أنفاسها وتبيّست أطرافها وهي تمسك بقضبان المقعد حولها " النص 12

• " كانت استجدته الزّوجة " النص 13

• " وأمر الصّبيّة باتّباعه لتستحثّ البقرة بالعصا الصّغيرة " النص 14

• " ومن ورائه دخلت فتاة ممتقعة الوجه غير واثقة الخطى " النص 16

• " فضمت السيّدة طفلها بشدّة إلى صدرها " النص 18

• " أفاقت من غفوتها لتتفقده وترعاه وجدته تحت جناحها أزرق اللّون فاغر الفم والعين " النص 19

• " ابتسمت الأمّ وقالت:المسؤولية للرجال فما دخلي أنا ودخل أختك زهرة؟ أنتم رجال " النص 22

• " وتحاملت على ساقها تمشي في خطاها المتعثرّة " النص 24

• " أحسّت آمنة صدمة الشفرة على يدها فجذبتها بسرعة " النص 26

• " وفجأة نظرت الأمّ إلى خالد في حيرة وكأنّها استدركت أمرا ولكن من سيقود الزّورق؟ " النص 28

• "وقفت الصّغيرة رانية تبكي " النص 29

• " لن يصمد أكثر من ساعتين أو ثلاث أرجوك افعل شيئا " النص 30

• "جاءه صوت زوجته صابرا هادئا " النص 36

• "إذا وصل إليك تمارضي " النص 37

• " نشطت الستّ أمّ رشدي لتعدّ حجرة ابنها " النص 38

• "سمع أمين صوت أخته تدعوه للعشاء " النص 39

• " وأنا لن أعارض رغبتك " النص 42

- " ولم تكن والدتي تسمح لأيّ منّا بالانشغال عن المدرسة " النصّ 55
 - " جارتها سلمى شاحبة الوجه قد ترقرق في عينيها الدّمع " النصّ 60
 - " معاذة العنبرية كئيبة حزينة مفكّرة مطرقة " النصّ 61
 - اقتربت منها فبدا لي أنّها تتحدّث إلى شخص ما لكن لا أحد يرافقها " النصّ 63
- هذه مجرد عيّنات لصور النّساء في كتاب النّصوص للسّنة السّادسة ابتدائي وهي لا تُخرجهنّ من صورة واحدة على الأغلب سلبية ترسخ في المخيال العامّ للمتعلّمة/المتعلّم النّظرة الدّونية لهنّ وإعادة إنتاجها وتعيدنا إلى وضعية ما قبل الحركة النّسوية وما قبل التصديّ العنيف للتّمييز على أساس الجنس وظهور التّشريعات التي تحمي النّساء من كلّ أصناف التّمييز سواء في الحياة العامّة أو في الحياة العائلية.

9 الأنشطة والأعمال

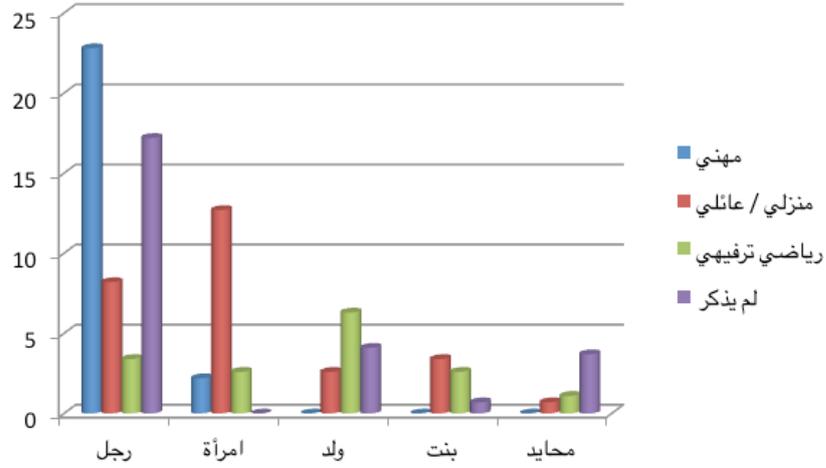
ارتأينا تقسيم الأنشطة التي تلحق بالشّخصيات إلى ثلاث فئات كبرى وهي الأنشطة المهنيّة المرتبطة بمهنة معيّنة ومحدّدة وتمارس في الفضاء العامّ ثمّ الأنشطة المنزليّة والعائليّة وهي كلّ ما يدور في فلك العائلة ثمّ الأنشطة التّرفيهيّة والرياضيّة. والتّساؤل يدور حول ما هي الأنشطة والأعمال التي يقوم بها الجنسان وترتبط بهما وهل يمكن أن نطمح - استنادا إلى ما سبق - إلى صورة تعكس بالفعل الواقع الاجتماعيّ الذي يعيش فيه المتعلّم/ المتعلّمة والذي سيساهم بشكل أو بآخر في تشكيل وعيه(ها) وبناء تصوّراته(ها)؟ وبلغة أخرى هل يمكن أن نطمح إلى نوع من التّكافؤ بين الجنسين في مجال الأنشطة؟



لا يبدو الأمر سهلا بالنّظر إلى محدّدات سبق الحديث عنها وخاصّة منها استحواذ الذّكور على غالبية الأنشطة المهنيّة مقابل انحسار الأدوار النّسائيّة في المجال المنزليّ

والعائلي ولعلّ مزيد التعمق في هذا الباب يمكّننا من توضيح الصورة أكثر عبر البيانات التالية:

رسم بياني عدد 11: توزيع نسبة الأنشطة والأعمال على شخصيات الكتاب المدرسي



جدول عدد 12: توزيع نسبة وتواتر الأنشطة والأعمال على شخصيات الكتاب المدرسي.

الشخصية	مهني		منزلي / عائلي		رياضي/ترفيهي		لم يذكر		المجموع
	تواتر	نسبة	تواتر	نسبة	تواتر	نسبة	تواتر	نسبة	
رجل	61	22.8	22	8.2	9	3.4	46	17.2	138
امرأة	6	2.2	34	12.7	7	2.6	15	5.6	62
ولد	0	0	7	2.6	17	6.3	11	4.1	35
بنت	0	0	9	3.7	7	2.6	2	0.7	18
محايد	0	0	2	0.7	3	1.1	10	3.7	15
المجموع	67	25	74	27.6	43	16	84	31.4	268

الإحصائيات تتحدّث بمفردها فمن ضمن 67 شخصيّة وقع التّطرق إليها بنشاطها المهنيّ نجد 61 شخصيّة ذكوريّة مقابل 6 شخصيّات أنثويّة أي ما يساوي 91% من مجمل الأنشطة المهنية، وهو طغيان ذكوري غير مبرر لا يأخذ بعين الاعتبار الواقع الاجتماعي الذي يعيشه المتعلّمون، وللتدليل على ذلك يكفي أن نأخذ مهنة الطّبيب التي نجدها تتكرّر في الكتاب 4 مرّات وتقتصر على أطباء ذكور في حين أنّ كلّ الإحصائيات تشير بكلّ وضوح إلى أهميّة جنس النّساء في هذا المجال في واقعنا الاجتماعيّ.

من جهة ثانية تتعدّد المهن التي يمارسها الذكور عبر نصوص الكتاب المدرسيّ وخاصة تلك التي تُعرّف بها الشخصيات الواردة فيه، فالرجل هو الطّبيب والمحامي والمحاسب وصاحب المشروع وصاحب الضّيقة والمهندس الفلاحيّ والرّبّان الملاح وقائد الرّحلة الفضائية ورائد الفضاء وعالم الآثار وقائد الجيش والمؤلّف والأديب والملحن، وهو أيضا السائق والصّياد والموظف والرّاعي ودليل السيّاح والخبّاز والتّاجر وصاحب المقهى والفلاح وبائع الثّلج وشوّا الرّؤوس وعامل الحفر ومرّوض الصّقور وقناص الأفاعي كما هو مدرّب الأطفال... في حين لا نجد ضمن الشخصيات النّسائية سوى عاملة الخيّاطة مع المشرفة عليها والممرّضة ومديرة نادي الأطفال، وهي مهن مرتبطة تاريخياّ بهنّ ولعلّ في تأبيد هذه الوضعية في نصوص الكتاب المدرسيّ سعيا قد يكون واعيا أو غير واع لتأبيده في مخيال النّاشئة عبر إعادة إنتاج نفس الصّور النّمطية المرتبطة بالنّساء مهنيّا.

بالنسبة إلى المجال العائليّ والمنزليّ تنقلب الصّورة تماما ليصبح المشهد أنثويّا بامتياز حيث نجد أنّ الأنشطة العائليّة والمنزليّة تستأثر بـ 54.8% بالنّسبة للنّساء و50% بالنّسبة إلى الفتيات مقابل 15.9% بالنّسبة للرجال و20% فقط بالنّسبة إلى الأولاد وهو ما يشير إلى معطى نفس-اجتماعي يحصر أنشطة بعينها لدى جنس بعينه. من الممكن ألا تكون الأرقام هنا معبّرة بشكل كبير باعتبار نسبة الذكور في هذه المهام تقارب 35% وهي نسبة تعتبر دالّة ولكن يجب التّمعّن في نوعية الأنشطة التي يقوم بها الذكور في الفضاء العائليّ والمنزليّ والتي لا تخرج عن إطار العناية بالحديقة وأشجارها وجلب الحاجيات من خارج المنزل في حين أنّ العناية به وإنجاز المهام الداخليّة تلقى على عاتق النّساء.

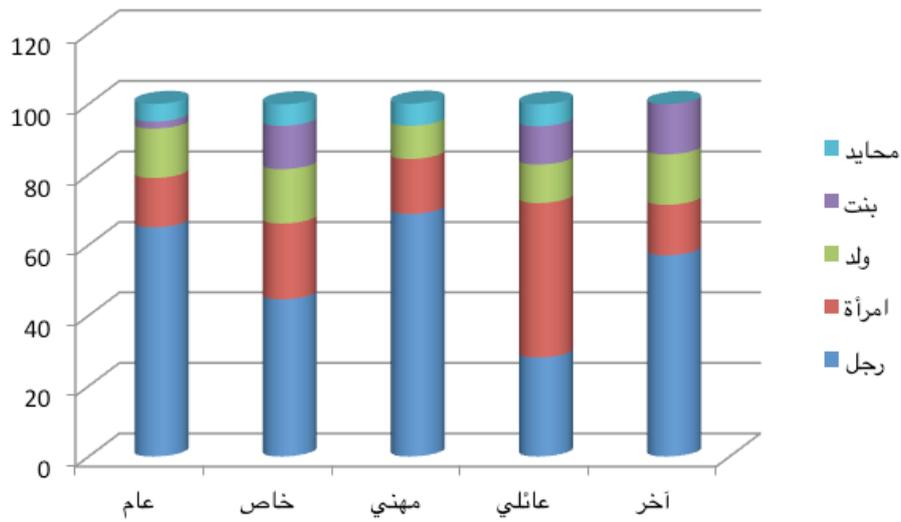
صحيح أنّ النصوص الصّريحة التي تحصر الفتاة في مهامّ مساعدة الأمّ في تدبير شؤون المنزل لا توجد وأيضا لا نجد صورا واضحة تشير إلى تلك الصّورة النّمطية التي تجعل الرّجل جالسا على أريكة يطالع الصّحيفة والطفّل يلعب بالكرة في حين تكون المرأة في المطبخ بصدد إعداد الطّعام وتساعد الفتاة في غسل الأواني ولكن الصّور الخفية قد تكون أخطر حين نجد أنّ مجمل الأنشطة التي تتعلّق بالنّساء والفتيات لا تخرج عن سياق المستبطن اجتماعيّا والمقبول وفق الدّهنية العامّة دون أدنى محاولة لمسيرة التّغيّرات التي عرفها المجتمع عبر سيرورة انغماسه في سياق الحداثة.

بالنسبة إلى المجال الترفيهي والرياضي نعود إلى نفس المنطلقات فالغلبة للجنس الذكوري على حساب الإناث ويبرز هذا المعطى بشكل جلي عند الحديث عن التمايز بين الأولاد البنات في هذا المجال، فمن بين 35 ولدا نصفهم تقريبا تعلق به نشاط ترفيهي أو رياضي أي حوالي 50% في حين تنزل النسبة إلى حوالي 40% فقط بالنسبة إلى البنات (7 من 18) ولعل المفارقة هنا تبدو واضحة حين نجد أن السبع فتيات اللاتي تعلقت بهن أنشطة ترفيهية لم يخرجن عن إطار نادي الأطفال وإنجاز البحوث العلمية في حين أن الفتيان نجدهم مرفقين بصور الكرة والدراجة وتربية الحمام ومرافقة الصياد ومرؤض الأفاعي وبالفضاء العام بشكل كبير وهو الأمر الذي يمكن أن يوضحه لنا تقاطع حضور الشخصيات بالفضاءات المرتادة من الجنسين.

محصلة القول في هذا الباب أن المؤلفين وهيئة تنسيق الكتاب المدرسي لم يضعوا في اعتبارهم أنهم يتعاملون مع إرث اجتماعي يستبطن التمييز ويكرسه ويعيد إنتاجه، إرث يجب القطع معه سواء لما بلغه المجتمع من تطور تجاوز هذا التمييز الاجتماعي والثقافي الذي لم يعد له وجود فعلي أو بفعل تطور التشريعات التي أصبحت تحمي النساء وتنص بصريح العبارة على منع كل أشكال التمييز ضدهن. وبالتالي فإن صورة النساء في الكتاب المدرسي في مستوى الأنشطة المهنية أو العائلية أو الترفيهية بقيت نمطية ويساهم الكتاب المدرسي في تأبيدها عبر نقلها على تلك الصورة إلى الأجيال اللاحقة انطلاقا من عملية استبطان مبرمجة لا يمكن أن يخرج عن سياقها تلميذ يفعل فيه الكتاب المدرسي بما فيه من سلطة وتسلط، فهي في النهاية صور تتكرر وبفعل التكرار تلتصق بالخيال وتصنع التوجهات وتصوغ المواقف والقيم.

10 الفضاءات:

رسم بياني عدد 12: توزيع نسب التواجد في الفضاءات على شخصيات الكتاب المدرسي.



جدول عدد 13: توزيع تواتر ونسب التواجد في الفضاءات على شخصيات الكتاب المدرسي.

آخر		عائلي		مهني		خاص		عام		الشخصية
نسبة	تواتر	نسبة	تواتر	نسبة	تواتر	نسبة	تواتر	نسبة	تواتر	
57.1	4	28.1	18	68.8	22	44.6	29	65	65	رجل
14.3	1	43.8	28	15.6	5	21.5	14	14	14	امراة
14.3	1	10.9	7	9.4	3	15.4	10	14	14	ولد
14.3	1	10.9	7	0	0	12.3	8	2	2	بنت
0	0	6.2	4	6.3	2	6.1	4	5	5	محايد
100	7	100	64	100	32	100	65	100	100	المجموع

إنّ التّقسيم النّمطي للفضاءات بين عامّ وخاصّ، مفتوح ومغلق قد يثير أحيانا بعض الارتباك في مستوى دلالاته وعلاقته بمتغيّر الجنس لذا فضلنا في دراستنا هذه أن نعيد ترتيب التّقسيم ليصبح بين عامّ وخاصّ، مهنيّ وعائليّ.

الملاحظة الأولى صادمة حيث تبين لنا منذ البداية أنّه من ضمن 100 شخصيّة وردت في نصوص الكتاب المدرسيّ وتواجدت في الفضاء العامّ نجد 79 منها ذكورا وبالتالي نصيب الإناث كان 31 شخصيّة أي بحساب الثلث وكأنّ المجال العامّ هو مجال ذكوريّ بامتياز، على أنّ التّحليل لا يمكن أن يكون خادعا إلى هذا الحدّ فالأمر أكثر قتامة عندما نتعمّق في تمحيص الأرقام، إذ بالعودة للفضاءات العامّة التي ارتادتها النساء نجد أنّهن كنّ فيها مجردّ عابرة أو مرافقة لمن يتحمّل مسؤوليتها مثل الأمّ في محطة القطار، والمریضة

في الطَّائِرة والسَّائِحَة على كِثبان الرَّمال، وحتَّى في الطَّرِيق العامِّ فهنَّ مجردَّ عابرات بصدد العودَة إلى المنزل أو في انتظار عودَة الأب لإعلامه بخطب جلل، مكانان عامَّان فقط تواجدت فيهما النِّساء بشكل فاعل وجسِّدا حضورهنَّ الكليِّ كانا من عمق التَّاريخ: تواجد عليَّسة على ساحل البحر حين نزولها بتونس ومغامرة السيِّدة غراهام حين طارت بمنطادها أمام الجموع.

أما بالنِّسبة إلى الرِّجل فالفضاءات العامَّة مثلت ملعبا حيويًّا له ومكانا حميميًّا يتحكَّم في مفاصله فهو يتواجد تقريبا في كلِّ الأماكن ذات الصِّبغة العامَّة وهو المتحكَّم في تفاصيل الفعل فيها، نجده في الشَّارع والبحر والواحة والغابة وساحة اللِّعب والحيِّ والصِّيعَة والصِّحراء وحتَّى في الفضاء وعلى سطح القمر وفي ساحة الحرب وفي بطن الوادي.

فهل يمكن أن نتحدَّث بعد هذا عن غياب الصُّورة التَّمطية للنِّساء في كتبنا المدرسيَّة حتَّى وإن غابت جزئيًّا في شكلها الفاضح والمعلن؟ يتوقَّف الأمر عند هذا الحدِّ، ففي مستوى الفضاءات الخاصَّة نجد الأمر ينقلب نسبيًّا حيث يصبح وجود النِّساء ذا دلالة لا تخفى على عين الملاحظ، فقد ارتفعت نسبة التَّواجد قليلا، باعتبار هذه الفضاءات وخاصَّة المذكورة في نصوص الكتاب المدرسيِّ تحيل في جانب منها إلى الفعل الاجتماعيِّ، فعيادة الطَّبيب وسيَّارة الأجرة ومركب التَّرفيه يمكن أن تدلَّ على مشاركة اجتماعيَّة دالَّة. الأرقام تدلُّ على نسب متقاربة بين الذُّكور والإناث ولكنَّ تحليل مضمون التَّواجد هو الذي يصنع الفارق دوما ففي العيادة، الذَّكر دوما طبيب والأُنثى مريضة أو مرافقة لابنها وفي السيَّارة يكون الرِّجل هو السَّائق دوما وفي مُركب التَّرفيه كانت المرأة سلبية جدًّا ممَّا يعني سلبية ظهور النِّساء في هذه الفضاءات.

العلامة المضيفة الوحيدة في هذا الظُّهور كان من نصيب الفتيات اللاتي كنَّ فاعلات ولكن أين؟ في نادي الأطفال وهو نوع من التَّثبيت للصُّورة التَّمطية "للفتاة المهذَّبة" التي تتسم "بالجدية وبحسن الأخلاق".

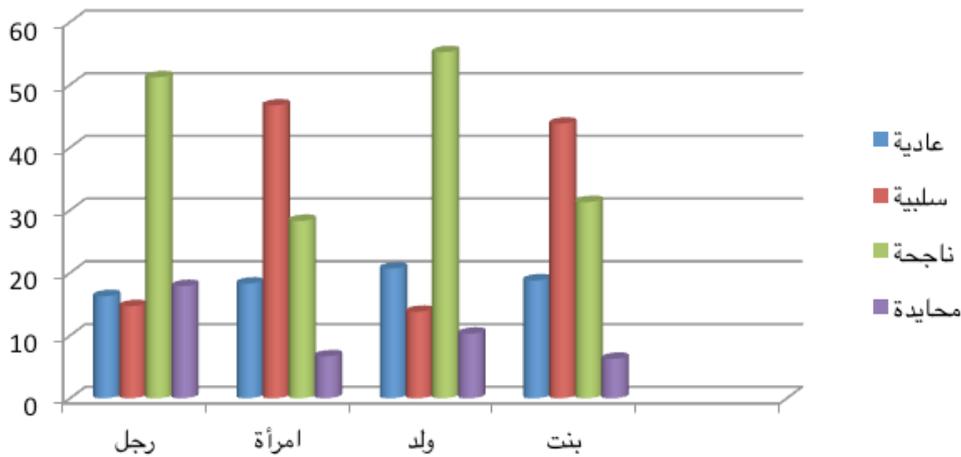


لن نستبق الأحداث عندما نتحدّث عن فوارق دالّة في الفضاء المهنيّ، فالتّحليل السّابقة تهيئ للأمر باعتبار الطّغيان غير المبرّر للذكور على هذا المجال في مجمل النّصوص: تقريبا 80% من مرتادي هذه الفضاءات هم ذكور مقابل ظهور ضئيل للنساء وغياب كليّ للفتاة. هذه الأرقام تتساق مع ذكورية سوق الشّغل بالنّسبة إلى مؤلّفي الكتاب المدرسيّ في محاولة لإعادة إنتاج وتأييد نظرة تنظر إلى عمل النّساء من منظور تجاوزه الزّمن ولم يعد ملائما لما وقع من تغيّرات بنيوية في المجتمعات الحديثة ومنها المجتمع التّونسي. فالرجل يتواجد في كلّ الفضاءات الشّغلية من بحر وساحة وغي، إلى دكاكين بمختلف تلويناتها وخاصّة العيادة الطّبيّة والبنك وصولا إلى قمرة القيادة في رحلات الفضاء في حين تُحصّر النّساء في مصنع للخياطة وفي مكتب مديرة نادي الأطفال. أليس هذا مساهمة مفضوحة في تشكيل تمثّلات المتعلّقات والمتعلّمين حول مدى شرعية تواجد الفتاة كزميلة لهم في الفضاءات العامّة والخاصّة والمهنية؟ ألا يمكن أن يشكّل دعامة قيمة قد تضيء تبريرا لاستبطانهم لعدم شرعية الاختلاط بين الجنسين خاصّة وأنّ الفضاء الإعلاميّ والعامّ يشهد مثل هذه المهاترات؟ ألا يمكن أن تشكّل هذه المعارف المنقولة بما تتضمنه من قواعد اجتماعية وقيم واتجاهات طعنة في خاصرة تمثّلات الفتاة لوجودها ووعيها بدورها المستقبليّ في مجتمعها؟ لقد طوّعت ضمنا لتكون متقبّلة لمربّع تحرّك خاصّ بها لا يمكن أن تتجاوزه وحتّى وإن تجاوزته فذلك يعتبر خروجا عن المألوف وليس حقّا تتمتع به. يتدعّم هذا التّحليل حين ننتبه إلى المجال الحيوي للنّساء في الدّهنية الشّعبية والعامّة وهو الفضاء العائليّ، ذلك الملعب الخاصّ الذي لا يجادل ظهورهنّ فيه أحد، بل ونجد من يدفع علنا أو سرا إلى قصرهنّ فيه: 45% من النّساء و38% من الفتيات يظهرن في هذا الفضاء مقابل 16% للرجال و20% للأولاد فقط وهو تفاوت دال يدعم التّحليل السابق.

لكن حتى في هذا الفضاء ليست النساء في أبهى صورة فهناك طغيان للذكورة على مصدر القرار وعلى شكل الظهور، ذلك أن ظهور الطفل أو الرجل في الفضاء العائلي عادة ما يطغى على حضور النساء معه ليصبح هو بطل النص والفاعل الحقيقي والقوة التي تستعين بها المرأة أو الفتاة في حلّ المشاكل، إنها المستكينة المنتظرة لرحمة من يأخذ بيدها ويدلّها على الحل والقرار السليم، وهو ما يؤكّد بشكل قاطع أن نصوص الكتاب المدرسيّ المدرّوس لم تعكس صورة النساء في الواقع ولم تسعّ ولو بشكل جزئيّ إلى محاولة تغيير الصورة النمطية السلبية المرتبطة بالنساء تاريخيا رغم أنّها ألّفت في زمن كان من المفروض أن تؤخذ هذه المسائل فيه بعين الاعتبار.

ليس من اليسير استخراج صورة الشخصية الواردة في نصوص الكتاب المدرسي اعتماداً على المعطيات الكمية فالأمر يحتاج إلى مقاطعات متعدّدة لا يمكن أن تنجزها فقط البرمجيات الإحصائية بل نلجأ إضافة إلى ذلك إلى تحليل المحتوى وخاصة تحليل الموضوعات، لقد سبق وحددنا الموضوعة بأنها "كل دلالة أو معنى يظهر في نص كتابي أو جزء من النص (فقرة، جملة، عنوان...)" وفي هذا الباب لم نقتصر على النصوص فقط بل التجأنا أيضاً إلى الصور المرفقة باعتبار دلالتها وعمق تأثيرها في المتعلّم/المتعلّمة ومن هذا المنطلق حدّدنا صورة الشخصية في ثلاث دلالات كبرى وهي أن تكون شخصية عادية غير معبّرة، شخصية قدّمت في صورة سلبية أو في صورة ناجحة دون إغفال بطبيعة الحال للصور التي لا تظهر بشكل يسمح بالحكم عليها وهي العابرة في النصوص أو في الصور.

رسم بياني عدد 13: توزيع نسبة صورة الشخصية في الكتاب المدرسي حسب الجنس



جدول عدد 14: توزيع تواتر ونسبة صورة الشخصية في الكتاب المدرسي حسب الجنس.

المجموع	محايدة		ناجحة		سلبية		عادية		الشخصية
	نسبة	تواتر	نسبة	تواتر	نسبة	تواتر	نسبة	تواتر	
رجل	16.3	21	51.2	66	14.7	19	17.9	23	100
امرأة	18.3	11	28.3	17	46.7	28	6.7	4	100
ولد	20.7	6	55.2	16	13.8	4	10.3	3	100
بنت	18.8	3	31.3	5	43.8	7	6.3	1	100
محايد	7.6	1	23.1	3	15.3	2	53.8	7	100
المجموع	17	42	100	107	24.3	60	100	38	247

عندما نلاحظ الأرقام الواردة بالجدول التأليفي يصبح يسيرا الحكم على تردّي صورة النساء في الكتاب المدرسي، فهن يبرزن في صورة سلبية في أغلب لحظات تواجدهن عبر النصوص بما يعنيه ذلك من تأثير في تمثّلات المتعلّّمتات والمتعلّّمين وفي تشكيل رؤيتهم لذواتهم ولعلاقاتهم بالآخرين وخاصة العلاقة بين الجنسين التي يفترض أننا بصدد تشكيلها وفق منظور عصري يؤمن بقيم المواطنة وثقافة المساواة ويراعي مكانة النساء حديثا وما وصلن إليه من مكاسب، ولكن، عندما تظهر النساء في صورة مزرية أو سلبية في %46 من مجمل ظهورهن وهي تقريبا نفس نسبة ظهور البنت في نفس الصورة (%43.8) يصبح الحديث عن براءة النصوص ضربا من الخيال فالنساء يطغى على حضورهن الضعف والسلبية والتردد والخوف والقلق والعجز والصمت والتبعية والطاعة، إن لم يكنّ ماكرات وفضوليات وحتى غيبّات. في المقابل وعند الحديث عن الصور الناجحة يصبح للرجال حضور قويّ ذلك أن أكثر من %51 من الرجال وأكثر من %55 من الأولاد صورهم ناصعة وتثير الإعجاب سواء بأنشطتهم أو بقدرتهم على الفعل في المآزق واتخاذ القرارات والسيطرة على المجال والآخرين المحيطين بهم.

فهل يمثل نقل هذه التصورات الخفيّة يمكن أن نعدّل اتجاهات ناشئتنا وأن نبني قيما مستقبلية تقوم على التكافؤ بين الجنسين وترسيخ ثقافة المساواة؟ هل يمثل صور الاستكانة والتبعية المتأصلة في الأنثى يمكن أن نروّج لاختلاط سليم خال من العُقد ونظرات التعالي الذكورية؟

وربما بين الفينة والأخرى تتعالى أصوات للمناداة بإعادة المرأة إلى ما كانت عليه باعتبار الأمر مقبولا من الناحية الوجدانية؟

استخلاصات

الأنثى معطى بيولوجي لكنه مكثف، إنه يحمل شحنة من المعاني والسمات والملحقات المبنية اجتماعيا والتي على مدى عصور شكّلت إطارا اجتماعيا في التعاطي مع مسألة الجنس كما النوع.

أن تكوني أنثى فالمسألة بيولوجية بحتة مرتبطة بالحالة المدنية أي بجنس الولادة ولكن أن تكوني أنثى أيضا فذلك معطى اجتماعي أي أن تقبلي الصورة والدور المرسومين لك اجتماعيا والذي بقوة الفعل يشكّل مجمل الممارسات والتصورات حول الإجابة عن سؤال من أنا؟ وما هي وظيفتي كفاعل اجتماعي وأيضا الإجابة عن سؤال من تلك وما هي حدودها بالنسبة إلى الآخر؟

انطلقنا في دراستنا من مسلّمة أن الكتاب المدرسي ليس ناقلا للمعارف فقط بل هو حمّال قيم وقواعد يرمي إلى تنشئة الأجيال القادمة عليها في إطار الاندماج الاجتماعي وهو بهذا الشكل يصبح منظومة قيم وقواعد اجتماعية واتجاهات لا بدّ من الانتباه إليها وإيلائها المكانة التي تستحقها، إذ بدون ذلك يمكن أن نعيد إنتاج السائد وتكرير المكرّر في ذهنية المتقبّل ونستنسخ قيما وسلوكيات قد يكون تجاوزها الزمن ولم تعد صالحة كما الحال في مسألة النساء التي ناضلت الحركة النسوية منذ قرون وخاصة منذ القرن الماضي في سبيل الاعتراف بحقوق طبيعية لهن سلبت بفعل التعاطي الاجتماعي مع مسألة الجنس.

صحيح أن كتاب النصوص للسنة السادسة من التعليم الأساسي خلا من الصور النمطية الفاضحة والتي تشير إلى ارتهان اجتماعي للنساء تجاه الرجال ما عدا بعض الشذرات التي تسربت هنا وهناك ولم تكن عدديا كبيرة ولكن الصور الخفية وهي الأخطر كانت متواجدة على مرّ النصوص فهل كان عاديا أن نتظر النص 23 لئرى نساء عاملات؟ وهل من المعقول ألا توجد النساء كراويات سوى في نص وحيد؟ وهل صدفة حُصرت النساء والفتيات في مهام أنثوية بالأساس في المخيال العام والقبول الاجتماعي المعلن؟

لا يمكن الادّعاء بأن الدراسة كاملة أو قابلة للتعميم بسبب الاقتصار على تحليل

مضمون كتاب وحيد من بين مجموعة كبيرة من الكتب المدرسية ولكن النتائج التي قدّمها لنا التحليل الكمي والكيفي يمكّننا من إلقاء الضوء على عدد من الهنات لا يستهان بها والتي يجب أن يهتمّ بها المؤلّفون مستقبلا، فكتاب القراءة للسنة السادسة من التعليم الأساسي يحتل مكانة مميّزة لدى التلميذ باعتباره يلازمه وهو في حدود الحادية عشرة والثانية عشرة من عمره طوال سنة دراسية كاملة باعتبار مركزية القراءة في البرنامج إذ يكاد يستخدمه يوميا وهذه السنّ هي أخطر الفترات العمرية لأنها بداية تشكيل كثير من القيم والمواقف والاتجاهات لديه.

وفي المحصّلة نجد أن شخوص الكتاب لم تخرج عن إطار نماذج الهوية الجنسية المتماهية مع الصور النمطية المبنية على أساس الجنس في المجتمع ولعلّ الأمر يصبح خطيرا في هذا الباب حين نجد طفلة/طفلا بصدّد تشكيل هويته الفردية، الجنسية والاجتماعية ولم لا المهنية (بداية التماهي مع المهن المعروضة أمامه وتشكيل أولى إرهاصات مشاريعه المستقبلية) يُحصر ويحاصر في صور نمطية هي إعادة إنتاج لما هو سائد اجتماعيا - وإن لم يكن نقلا أميناً للحاصل اجتماعيا - في حين أنّ فلسفة التربية تقوم على بناء نماذج مستقبلية تتجاوز معوقات الواقع وسلبياته وتحاول القفز في مجال الفعل المستقبلي، ألسنا بصدّد تربية أجيال لغير واقعنا الحالي؟ ألسنا نسعى إلى ترسيخ منظومة قيم تقطع مع سلبيات السائد اجتماعيا وتركيزها وتبني هوية فردية وجماعية نطمح إليها؟

تظهر الصور النمطية المخفيّة والخطرة في نفس الوقت في مجمل نصوص الكتاب ولم تستطع إخراج النساء من أدوارهنّ المسطرة تاريخيا ولا تغيير صورتهمّ المستوحاة من عمق عصور القهر الجنسي الذي عايشنه ويسعين للانعتاق منه. تظهر هذه الصور في أغلب المهام والأنشطة والأعمال التي يهيمن عليها الذكور عكسهنّ، وفي قصر القرارات والمبادرات على الرجال دون النساء، وفي حصرهنّ في الفضاء العائلي والمغلق ونادرا الخاص. كما تظهر في ضيق المدى العلائقي عند النساء وخاصة الطفلات مقارنة بالرجال والأولاد وبالتالي فالكتاب المدرسي يدلّنا على الحدود التي رسمها للحياة الاجتماعية سواء للنساء أو للرجال وهنا يكمن خطرهما.

التوصيات

لقد حان الوقت لنضع حدًا للسائد في مسألة التأليف المدرسي وأن نبحث بجديّة في المضامين الظاهرة والخفيّة للكتب المدرسية، ماذا تنقل؟ أيّ قيم؟ أيّة قواعد واتجاهات؟ وخاصة كيف تعرض مختلف الفئات الاجتماعية التي تشكّل مجتمعا؟ وفي هذا الصدد نوصي بما يلي:

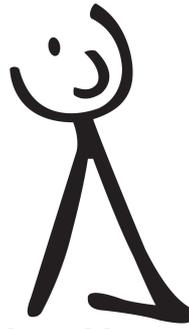
- التنصيص بكل صراحة ووضوح في كراس شروط التأليف المدرسي على ضرورة أخذ مسألة النوع بعين الاعتبار.
- تشكيل فريق تقييم للنظر في محتويات الكتب المدرسية قبل اعتمادها اعتمادا على متغيّر النوع.
- حتّ المؤلفين على تلافي كل إشارة من شأنها أن تثير مسألة التمييز على أساس النوع في كل الكتب المدرسية.
- تمكين المؤلفين من حضور دورات تدريبية في كيفية التعاطي مع مسألة النوع الاجتماعي عند تأليف الكتب المدرسية.
- تشكيل فريق متابعة يتولّى المصادقة على كل تأليف مدرسي ليتأكّد من خلوه من الصور النمطية المسيئة للنساء.
- من حيث مظهر النساء: تنوع بنيتها الجسدية (الجسد/ الحجم/ الوزن...)
- تلافي الألوان النمطية (الأزرق والزهري)
- تلافي الملابس النمطية (البنتال للذكر والتنورة للفتاة)
- الابتعاد عن جنسنة النساء (الاهتمام كثيرا بمظهرهنّ، بجسدهنّ)
- السمات النفسية، الاتجاهات، الخصال: فتح آفاق ممكنة في الأدوار الاجتماعية المسندة تقليديا إلى الفتيات والفتيان والرجال والنساء (فتيات مواظبات، يخفن، سلبيات.. / فتیان أغبياء، متهورون، نشيطيون وحركيون...)
- الفضاء المهني: تمثيل فعليّ للنساء العاملات وإبراز أن الجنسين يقومون بنفس المهام (إبراز نساء في الفضاء العلمي أو التقني وإبراز رجال في المهن الطبية والعلاجية)

- الفضاء العائلي: إظهار أن الجنسين يشاركان بطريقة متساوية في المهام المنزلية (الابتعاد عن صورة الأريكة والمطبخ)
- الرياضة والترفيه: إبراز أن كلا الجنسين يمارسان أنشطة متنوّعة بغض النظر عن النوع.
- عدم ربط الجنس بمجالات أو فضاءات محددة: النساء أو الفتيات (الفضاءات المغلقة، الداخلية، الخاصة) والرجال أو الفتيان (الفضاءات المفتوحة، الخارجية، العامة...)

قائمة المصادر والمراجع

- Comment promouvoir l'égalité entre les sexes par les manuels scolaires ? Guide méthodologique à l'attention des acteurs et actrices de la chaîne du manuel scolaire. UNESCO 2007
- Rapport d'information, Roland COURTEAU, sénateur, session 2013-2014 N° 645, juin 2014
- Manuels scolaires et stéréotypes sexués : éclairage sur la situation en 2012, étude exploratoire, CEME ACTION, Hors série décembre 2012
- La représentation des hommes et des femmes dans les livres scolaires, La documentation Française, Rapport au premier ministre, Simone RIGNAULT-Philippe RICHERT
- Manuels scolaires, Genre et Egalité- colloque le 2 juillet 2014, centre hubertine auclert.
- Faire des manuels scolaires des outils de l'égalité entre les hommes et les femmes, Guide pratique, centre hubertine auclert, 2014.
- Genre et manuels scolaires au filtre des images, Fanny LIGNON ; Vincent PORHEL ; Herialalaina RAKOTO-RAHARIMANANA, Hal archives-ouvertes.fr
- Les stéréotypes dans les manuels scolaires, Bénédicte FIQUET, novembre 2009
- Représentations sexués et sexistes dans les manuels scolaires : peut mieux faire, Amandine BERTON-SCHMITT, intervention colloque Femmes et sciences, 4 octobre 2014, centre Hubertin Auclert.
- Système scolaire et stéréotypes sexistes, Nicole mosconi, 2013-2014
- Les manuels de lecture de CP sont-ils encore sexistes ?, Christine FONTANINI, centre de recherche sur l'éducation, les Apprentissages et la didactique, 2007

- الخطاب التربوي والجنوسة في كتب التربية الوطنية والتنشئة المدنية الحلقة الأساسية من التعليم العام في لبنان، فوزي أيوب.
- عبد العالي معزوز، هشام شرابي ونقد النظام الأبوي في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، عدد 36، بيروت 2012.
- ابراهيم الحيدري، النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، دار الساقى، الطبعة الإلكترونية، 2013.



الجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات
Association Tunisienne des Femmes Démocrates

عنوان المقر : شارع محمد الهادي خفشة، عمارة إقامة الكرنيش،

الطابق الثاني، الشقة 21

الهاتف/الفاكس: 74 296 621

البريد الإلكتروني: atfd@gmail.com

الهاتف الجوال: 28 175 950